رحلة البحث عن الكنز بين بهاء طاهر، وباولو كويلو

يمني رجب إبراهيم (*)

الملخص

يتناول البحث دراسة أدب الرحلة بوصفه فرعا مهما من فروع الأدب المقارن . ومن ذلك :

صورة مصر في الأدب العالمي

حيث يتم التركيز على تأثير صورة مصر في رحالة معين ونقله تلك الصورة الخاصة إلى نطاق عالمي عن طريق تسجيله

لرحلته وأحداثها . وتأثير ذلك على زاوية رؤيته لمصر بوصفها بلد الرحلة . من هنا فقد اهتم البحث بعملية المقارنة بين

أديبين : أحدهما مصري وهو بهاء طاهر في عمل أدبي مهم له وهو : أنا الملك جئت

وأديب برازيلي هو باولو كويلو في عمل أدبي هو : The Alchemist أو السيميائي.

وتتم عملية المقارنة عن طريق رصد أوجه التشابه والاختلاف بين المؤلفين في : زاوية الرؤية ل مصر البلد والحضارة

والتاريخ . والخلفية الثقافية التي يحملها كل منهما عن مصر .

ويهتم البحث بمسألة الهدف من الرحلة ، وهل تعد الرحلة هدفا في حد ذاتها . وهل تحقق هدف الرحالة في نهاية رحلته .

* مدرس النقد الأدبي

كلية البنات– جامعة عين شمس

The Journey For The Treasure
Between :
Bahaa Taher and Paulo Coelho .

Yomna Ragab ibrahim

Abstract

The Journey is a dream for everyone . Especially when the journey is to Egypt .

So many people love to come to Egypt . Paulo Coelho is one of them . he is from brazil .

To Egypt in 1987 .he loved this country and wrote about it . he came Bahaa Taher is an egyptian Author . also he is writing about Egypt .

The research is concerned with the comparative between :bahaa taher in : Ana almalek jeet

And Paulo Coelho in : The Alchemist . there is a question : how does bahaa taher and Paulo

See Egypt ? how they see the egyptian people . how they deal with women in the journey .

المقدمة

يعد أدب الرحلات فرعاً مهماً من فروع الأدب المقارن، إذ يُسْهم في رسم صورة بلدٍ ما عند شعوبٍ مغايرة، الأمر الذي يحمل أهمية أدبية وإنسانية.

وقد كتب بهاء طاهر عن رحلة إلى صحراء مصر وواحاتها في قصة (أنا الملك جئت) عام 1985، وفي عام 1987 ارتحل (باولو) كويلو إلى مصر في زيارة سجلها في موقعه الرسمي على الإنترنت:

http://www.paulocoelho.com/en

وذلك في مرحلة فاصلة من حياته، وفي عام 1988 كتب روايته الشهيرة (السيميائي)، وهي رحلة إلى مصر تحمل طابعاً فلسفياً رمزياً.

ويقوم البحث بعملية مقارنة أدبية بين العملين تستهدف اكتشاف صورة مصر لدى كلٍ منهما، وزاوية الرؤية، وذلك حسب منطلق الاهتمام في الوصف والتصوير.

وبين العملين أوجه تشابه واختلاف عديدة تتطرق إلى الخلفية الثقافية لدى كل مؤلف، وتظهر أنه بمقدار ما تبدو الشعوب متباعدة جغرافياً فهي متقاربة ثقافياً واجتماعياً ونفسياً إلى حدٍ كبير.

من هنا فقد قامت المقارنة بين العملين على أساس وحدة التجربة (الرحلة)، وإلغاء الحواجز اللغوية بفعل الترجمة، واعتماد النقد الأدبي منطلقاً نحو تلك الرحلة الفكرية المزدوجة في هذين العملين النثريين. وتقوم المقارنة الأدبية بينهما على منهج علمي يقتضي البحث عن الطريقة التي تكونت بها أفكار كلا المؤلفين عن مصر.

مما يستدعي البحث في حياة الرحالة نفسه، وذلك بما يلقي الضوء على علاقته ببلد الرحلة، والتأثير النفسي الذي ينعكس على الصورة المرسومة لتلك البلد.

وذلك من خلال عناصر:

- الذات والآخر.
- المكان والزمان.
- الحلم والتصوف والسيمياء والرمز.
- المرأة والحب.
- اللغة والترجمة.
- الصوت والصمت.

وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا العمل.

والله الموفق،،،

مدخل

يقول الشاعر العربي:

سافر تجد عوضاً عمن تفارقه وانصب فإن لذيذ العيش في النصبِ

ويقول ت. س. إليوت:

"ارتحلوا ..... انطلقوا أيها الرحالة فأنتم لستم نفس الأشخاص عند بدء الرحلة".

إن للرحلة أهمية عظيمة في حياة البشرية. لقد كانت سبباً في تواصل الشعوب والثقافات، ومهدت بحد ذاتها لعمليات المقارنة سواء في العلوم أو الآداب. وبقدر الاتصال والاحتكاك يكون التطور والتقدم، فتعم الفائدة على الرحالة وبلد الرحلة.

ورحلة تأليف (باولو) كويلو لرواية السيميائي تكاد تشبه في غرابتها رحلة الشاب في الرواية. ولد (باولو بدرو كويمادي سوذا) في ريو دي جانيرو في أغسطس عام 1947، وتعلَّم في مدرسة يسوعية صارمة دينياً. عمل بالصحافة والتأليف الموسيقي والأدبي، ومنذ عام 1968 بدأ ينشد تجارب روحية من خلال الترحال.[1] وفي عام 1968 ارتحل إلى (سانتياجو دي كومبوستلا)، ثم إلى مصر عام 1987 وغيرها من البلدان. وفي عام 1988 كتب رواية "السيميائي" وحاول نشرها لكنها لم تلق نجاحاً حيث باعت 900 نسخة فقط. وكرّر (باولو) التجربة مع دار نشر أخرى، وهكذا أصبحت الرواية في قائمة أكثر الكتب مبيعاً حول العالم في 18 دولة فقد باعت 30 مليون نسخة في 150 دولة، وترجمت إلى 62 لغة. وحازت الرواية على المرتبة الأولى بين تسع وعشرين دولة، كما دخلت موسوعة جينس للأرقام القياسية لأكثر كتاب مترجم لمؤلف على قيد الحياة.[2]

وهكذا ارتبط انتشار صورة مصر ــ كما رآها (باولو) ــ بانتشار روايته وترجماتها المتعددة.

أما بهاء طاهر فقد ولد عام 1935 وهو أحد أهم الروائيين العرب، حصل على ليسانس الآداب في التاريخ عام 1956، عمل مترجماً ومخرجاً للدراما، ومذيعاً حتى عام 1975، سافر إلى إفريقيا وآسيا للعمل بالترجمة، عاش في جنيف بين عامي 1981 و1995[3] صدرت له أول مجموعة قصصية بعنوان (الخطوبة) عام 1972، ونال جوائز عديدة منها جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 1998، ثم جائزة البوكر العربية عام 2008 وغيرها.[4]

ويشير بهاء طاهر في ترجمته لرواية السيميائي إلى قصته (أنا الملك جئت) والتي قام بتأليفها عام 1985 أي قبل نشر السيميائي بثلاث سنوات ويقول: "هي أيضاً رحلة بحث عن الذات في الصحراء، ولم تترجم إلى أية لغة، فكيف اتفق أن توجد ــ دون معرفة أو لقاء ــ مواقف متطابقة في العملين، وفي بعض الأحيان نفس العبارات"[5]، والغريب أيضاً أن العملين يعتبران ثالث الإبداعات عند كلٍ من المؤلفين.

إن (باولو) قد كتب أولاً (أرشيف الجحيم) عام 1982، ثم (الحاج) عام 1987، ثم (السيميائي) عام 1988. كذلك كتب بهاء طاهر (الخطوبة) عام 1972، ثم (بالأمس حلمت بك) عام 1984، ثم (أنا الملك جئت) عام 1985، وقام بترجمة الرواية البرازيلية عام 1996. ويذكر أن (باولو) تأثر في روايته بإحدى قصص (بورخس) لكنه لم يذكر اسمها. وأعتقد أنها (وردة بارسيلوس) فهي تدور حول نفس الأسس: السيمياء، والكيمياء، والمعلّم، أو المرشد، وتحويل الحجر إلى ذهب. والخلاصة هو الإيمان، كما يتردد فيها عبور الصحراء والنجوم، وغيرها من العناصر الموجودة في رواية (باولو). وبارسيلوس كيميائي ألماني (1493 ــ 1541) مارس الطب والكيمياء في عصر اختلط فيه الطب بالسحر، والعلم بالخرافة.[6]

وهناك قصة وجدتها في (ألف ليلة وليلة) الجزء الثاني هي قصة حسن البصري، وهي تحمل عناصر مشتركة هي: صنعة الكيمياء، الإكسير، تحويل النحاس إلى ذهب، المعلّم، ويرد بها عبارة (الوزن المصري) إلى غير ذلك.[7] إذن فالفكرة قديمة والإبداعات الأدبية التي تعتمدها كثيرة ومتعددة.

الذات ..... والآخر

يتفق العملان الأدبيان في هدف الرحلة وهو البحث عن الذات، ومحاولة اكتشافها، وفهمها. إنها رحلة مواجهة بين الإنسان وذاته العصية على الفهم.

إن رواية (السيميائي) ــ في ظاهرها ــ رحلة بحث عن كنز مفقود بجانب الأهرامات المصرية يسعى إليه البطل (سانتياجو) الذي يعيش في إسبانيا. وهي في الحقيقة رحلة بحث عن الذات وفهمها. ربما تكون ذات المؤلف نفسه لأننا نجد تشابهاً كبيراً بين حياة البطل والمؤلف فقد كانت حياة (باولو) كلها عبارة عن رحلات متعددة لفهم ذاته وتحقيقها. وهو ما يطلق عليه في الرواية (الأسطورة الذاتية) أي أن يتمكن الإنسان من تحقيق حلمه وهدفه في الحياة فقد ارتحل عام 1968 جراء سيطرة حرب العصابات على البرازيل وسط حكم عسكري قمعي. كما سافر حول أمريكا اللاتينية. وفي عام 1986 ارتحل إلى (سانتياجو) (مكان

الحج في القرون الوسطى) والتي كتب على أساسها رواية (حاج كومبوستيلا) واصفاً فيها الأثر الروحي العميق الذي تركته الرحلة في نفسه، وفي عام 1987 زار مصر والأهرامات.

يقول (باولو) عن (السيميائي): "هي قصة الراعي الذي طالما كنته، فهو مرآة حياتي، ويعكس كل العقبات التي انتصبت في طريقي ..... الراعي الذي هو أنا، انطلق في رحلة إلى الكنز وكان يدرك أن الطريق التي تقطعها لا تقل أهمية عن المكان الذي ستصل إليه".[8]

وحينما يسأله (جان إرياس) أن يصف نفسه، يقول: "أنا رحالة حاج يقطع درباً لا نهاية لها، وكالرحالة الذي يعلم بوجود كنز ويراه مستهدياً بالعلامات كما يفعل الراعي الشاب في الخيميائي، المهم هو الوصول إلى الكنز بالنسبة له، لكن عندما يصل يتبين له أنه لم يعد الرجل الذي كان، لقد تغيَّر، وأصبح شخصاً آخر، إنه المسار والبحث الذي يعيد صياغتك وأنا أواصل البحث".[9]

كذلك فإن رحلة (فريد) بطل قصة بهاء طاهر هي رحلة بحث عن الذات في الصحراء، وليس عن كنز. وهي ذات مبهمة، بل إن البطل نفسه منذ بداية القصة لا يعلم عن أي شئ يبحث؟ ولماذا يرحل؟ "لم يكن (فريد) نفسه يعرف سبب إصراره على الرحيل غرباً".[10] لذلك نلاحظ أن السرد في الروايتين يأتي من وجهة نظر الشخصية الرئيسية (المؤلف نفسه) الذي يتخفى في ضمير الغائب الذي يعني: "الإلمام بكل شئ في حياة الشخصية وغيرها من الشخصيات في الرواية".[11]

وتبدأ رواية (السيميائي) براع شاب يعيش في إسبانيا ويطمح دائماً للرحلة. يقول المؤلف: "إن ذلك هو ما أعطى لحياته معنى الترحال".[12] ويحلم الشاب حلماً يتكرر بأن عليه أن يذهب في رحلة إلى الأهرامات لأن كنزاً ينتظره هناك، فبدأ رحلة انطلقت من الأندلس مروراً بالمغرب، ثم مصر: واحة الفيوم، والأهرامات، وهناك اكتشف أن الكنز موجود بالقرب من الكنيسة المهجورة التي كان يسكنها في الريف الأندلسي.

أما قصة بهاء طاهر فتحكي عن طبيب عيون يدعى (فريد) سافر إلى فرنسا للتعلم. وأراد أن يتزوج فتاة فرنسية (مارتين). وقبل الزواج قامت مارتين برحلة إلى صحراء مصر عادت منها مسلوبة العقل، مما دفع (فريد) إلى محاولة اكتشاف السبب عن طريق رحلة عبر الصحراء المصرية إلى مكان مجهول حيث يوجد معبد فرعوني مهجور، وتنتهي الرحلة بإنقاذه من الموت.

إن البطل في القصتين مختلف من حيث تكوينه الذاتي والفكري، فـ(سانتياجو) منذ بداية الرواية يدفعه طموح داخلي إلى الرحلة، لا يعرف مغزاه "إن أهم شئ هو أنه كان يحقق في كل يوم حلم حياته الكبير، الترحال".[13]

إن ذات (سانتياجو) هي ذات (باولو) كويلو الباحثة عن السلام الداخلي، وهي ذات (فريد) طبيب العيون، حين سأله زميله مستغرباً ما وصل إليه حاله من الفوضى النفسية، ما بك يا (فريد)؟ فأشار إلى صدره[14]، وهو ما وجدته مارتين حين ارتحلت إلى مصر عن طريق (فريد)، يقول والدها: "كان لابد أن يأتي طالب طب من مصر لكي تجد مارتين السلام".[15]

إنها تجربة عالمية، تجربة كل إنسان في العالم حاول أن يبحث عن ذاته من خلال الرحلة. وتحكي (مريم فاي) في كتابها (رحلة عبر عشرة آلاف ستارة) أو (سيمياء التحول على طريق الصوفية) تجربتها العجيبة في البحث عن ذاتها عبر رحلة قامت بها من الولايات المتحدة الأميريكية ــ ولاية كاليفورنيا ــ ثم دول أوروبا، والهند، ودول شرق آسيا حتى مكة والمدينة، فقد كانت في بداية الرحلة ــ على حد تعبيرها ــ تبدو غير مرئية، وفقيرة نفسياً إلى أقصى درجة، وهو عكس ما كان في نهاية الرحلة تماماً.[16]

في بداية الرواية لم يعرف (سانتياجو) عن نفسه سوى انه راع أغنام قد اعتاد حياة روتينية. وعن طريق البحث عن الكنز عرف أنه يمكن أن يفعل أكثر من ذلك، فبدأت رحلته نحو معرفة إمكانياته وقدراته الكامنة في نفسه الإنسانية (ذاته). يقول بهاء طاهر في مقدمة ترجمته للرواية: "إنها تعلي من شأن إرادة الإنسان، والإيمان بالقدرة الإلهية، وبأن الخوارق والمعجزات أمر طبيعي في الحياة".[17]

لقد كانت الرحلة طريقاً لفهم الذات، في بداية حياة البطل وضعه والداه في مدرسة دينية، لقد ظل حتى سن السادسة عشرة يتردد على المدرسة الدينية، كان أبواه يريدان أن يجعلا منه قساً[18]، وهو ما حدث مع (باولو) نفسه حين وضعه أبواه في مدرسة (الجزويت) الكاثوليكية حتى سن السابعة عشرة، لكن هذه التجربة القاسية جعلته يكتشف موهبته في الكتابة الأدبية.[19]

ولا تتعرض قصة بهاء طاهر لبدايات حياة البطل، بل تبدأ بعد تخرجه من جامعة فرنسية عام 1924.

وحين أراد (سانتياجو) أن يتخلى عن حلمه قابل رجلاً غريباً عرّف له معنى الأسطورة الذاتية: (إن كلاً منا يعرف في مستهل شبابه ما هي أسطورته الشخصية ففي تلك المرحلة من العمر يكون كل شئ واضحاً وكل شئ ممكنا).[20]

كذلك ظهر لـــ (باولو) رجل غريب يقول: "رأيته في رؤيا منامية، ثم بعدها بشهرين قابلته في مقهى في أمستردام، ونصحني بأن أعود إلى الدين (الكاثوليكية) وأن أسير حتى (سانتياجو) مكان الحج".[21]

ولم يظهر في رواية بهاء طاهر شئ من هذا القبيل، لكن الذي شجعه على الرحلة وصديقه دكتور حشمت الذي ارتحل قبله إلى إفريقيا مع بعثة من الأنثروبولوجيين وذلك هرباً من حزنه على وفاة والدته.[22]

ومن الطرق المهمة لفهم الذات هي العلاقة بالآخر. "إن المعرفة بالذات تتأصل عن طريق المعرفة بالآخر".[23]

وعلاقة (سانتياجو) بالآخر تتضح منذ بدايات الرواية، وتحديداً فالآخر هنا هم العرب. إن البطل يطل من أعلى قصر ما فيلمح إفريقيا، يقول المؤلف الراوي: "شخص ما قد شرح له أن المغاربة أتوا من هذا الطريق وأنهم احتلوا إسبانيا بأسرها لفترة طويلة، وكره المغاربة فقد كانوا هم الذين أدخلوا الغجر".[24]

فالانطباع المسبق هو الخوف والحذر من الآخر القادم. ويتغير الأمر حين يرحل البطل إلى المغرب، فهو يصف الآخر (العرب): "شيوخ يصعدون إلى قمة أبراج عالية، ويشرعون في النداء، ورجال يركعون ويلمسون بجباههم الأرض، قال في نفسه: هرطقة، كان قد رأى وهو طفل في كنيسة قريته تمثالاً للقديس جاك الكبير على صهوة جواده مسدداً رمحه نحو أشخاص يشبهون هؤلاء الناس، وشعر بقلقٍ، وفكر أن نظراتهم مخيفة".[25] ويتعرف على شاب مغربي يسرق منه نقوده.

إذن فالعلاقة الأولى مع الآخر هي علاقة رفض، لكن التجربة أفادته أن يكون أكثر حرصاً يقول: "منذ الآن سأصبح أشد حرصاً". وهو يصف الأسواق المغربية والحياة فيها بدقة، والصلاة: "صعد شخص إلى واحد من تلك الأبراج وشرع في ندائه المرتل، وبدأ كل من حوله يركعون ويلمسون بجباههم الأرض ويرتلون بدورهم".

إن الرحالة يعد إثنوجرافياً، وعلم الإثنوجرافيا يعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات لدى مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة، وتشكل المادة الإثنوجرافية أساساً لدراسة الأثنولوجيا، وهو العلم الهادف إلى الوصول إلى تصورات نظرية بصدد مختلف النظم الاجتماعية. وتعتمد الأنثروبولوجيا ــ والتي يقصد بها ذلك النسق المعرفي والمنهجي لدراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً ــ على الدراسة الجامعة بين الإثنوجرافيا والأثنولوجيا.[26]

وبعد فترة تغير شعور البطل: "لم يعد يشعر باليأس الذي كان يعاني منه

من قبل، لم يعد هذا عالماً غريباً بل أصبح عالماً جديداً".[27] لذلك فإن تجربته مع بائع الكريستال المغربي كانت مختلفة، ومثمرة فقد تعلم كل منهما من الآخر شيئاً. لقد عَلَّمَ الشابُ بائع الكريستال ألا يخاف من المغامرة والتجديد، وتعلّم منه ملامح الدين الإسلامي والفرائض الخمس التي أمرنا بها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ومنها رحلة الحج إلى مكة.

وهكذا قال له بائع الكريستال حين أراد أن يغادره: "لقد كنت بالنسبة لي نعمة، إني منذ الآن أعرف نفسي"[28]، وقد تحول الشاب ــ ظاهرياً ــ إلى عربي: "كان يلبس الرداء العربي المصنوع من الكتان الأبيض، وغطى رأسه بعمامة تحيط بها عصابة من جلد الجمل".

كما عقد الشاب صداقة مع حادي الجمال أثناء الرحلة، وهو رجل بسيط، ورغم ذلك فقد علمه معنى كلمة (مكتوب) أي مقدَّر، لذا عليه أن يعيش اللحظة الراهنة، يقول: "لو تمكنت من أن تعيش دائماً في الحاضر فستكون إنساناً سعيداً". وهي فلسفة المؤلف في حياته، وهو مبدأ إسلامي الأصل، حيث يقول الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان".[29] وهي نفس الفكرة الحديثة التي يدعو إليها بعض المفكرين الغربيين أمثال إيكهارت تول في كتابه The Bower of now. والآخر(الإنجليزي) هو الشاب الكيميائي الذي تصادق معه (سانتياجو) في طريق الرحلة، وهو مثقف متعجرف، دائم التحليل والنقد، لا يؤمن بالصدفة فكل شئ لديه يخضع للعلم، والتجربة المادية. وقد تعلمَّ من الشاب أهمية التأمل.

وفي رواية بهاء طاهر نجد الآخر (الإنجليزي) وعلاقته بالعربي المسلم الدكتور (فريد) الضابط الإنجليزي (جنكنز) قائد حرس الحدود صاحب الشخصية الفضولية، فهو يسأل (فريد) عن سر سفره إلى الصحراء وهو يجسد خوف الإنجليز وقت الإحتلال من الثورة، يقول: "لولا علمي بأن هذه المنطقة غير مأهولة لاعتقدت أن السراي تحاول الاتصال برجال القبائل في الغرب أو ربما الإيطاليين في ليبيا".[30] وانطلاقاً من علاقة الشك الدائمة بين المستعمر وصاحب الأرض فقد أرسل جاسوساً يتابع تحركات البطل.

والآخر أيضاً (مارتين) التي تمثل الجانب الفرنسي الأنثوي "ويلعب الرمز دوراً كبيراً إذ يعمق من محتوى الدلالة في النص فتصبح الصلات الشخصية رمزاً للصراع بين حضارتين مختلفتين فكراً وشعوراً".[31]

والخيانة يمكن أن تأتي بين أبناء البلد الواحد، فـ (شدوان) الدليل ــ الجاسوس، يسرق الدكتور (فريد)، ويهرب تاركاً إياه وحده في الصحراء.

ويصف (سانتياجو) جانباً مهماً من الآخر العربي المصري وهو كرم الضيافة وحق الجوار، حيث يطلق الجار على "كل من يلتجئ إلى غيره طالباً حمايته ونصرته"، فالمسافر إلى أرضٍ غريبة يدخل في جوار أي في حماية القبيلة التي تكون قريبة منه، ويتحتم عليها أن تجيره. وتعد إجارة اللاجئ من مظاهر المروءة والبطولة عند العرب والتي يحركها الوعي الإنساني والشعور بالمسئولية[32]، وهو ما حدث في الرواية، يقول حادي الجمال: "سيتم إيواء كل أفراد القافلة باعتبارهم ضيوفاً في خيام سكان الواحة الذين سيقدمون لهم أفضل الأماكن فتلك هي شرعة الضيافة التقليدية".[33]

ويمثل البدو الذين قابلهم الشاب في الواحة والصحراء (آخر) غريباً عنه. ويوضح جان جاك لوتي أن البدو: جماعة يعيشون في خيامٍ في الصحراء يتراوح طولها بين 6 إلى 9 أمتار وعرضها 4.5 متر تقريباً، وهي مصنوعة من الخيش ويحترفون الرعي بشكلٍ دائم وقطع الطريق أحياناً، ويوجد في مصر 60 قبيلة منها: (القتاب)، و(الحوايات) في جنوب مصر و(السمالو) في الفيوم. وتتسم حياتهم بالبساطة ولكل قبيلة زعيم مطاع فيهم. ومن الملاحظ أن هذه الجماعات تتمتع بقيمة الزهد والطاعة لبساطة معيشتهم، كما أنهم يؤمنون بالخرافات بشكلٍ واضح.[34]

وهكذا فقد تعرّف الراعي الشاب الإسباني على رعاة عرب يشاركونه مهنته ويتفقون ويختلفون معه في بعض العادات وطرق المعيشة.

ويبدو السيميائي في رواية (باولو) (آخر) متعدد المواهب، وحين يتعرف عليه (سانتياجو) يكتشف الكثير عن ذاته الحقيقية، وما يمكن أن يفعله في الحياة، وهكذا يفكر حين يواجه الموت مع السيميائي: "إنه لم يأسف على شئ إن كان لابد من أن يموت في الغد فسيكون ذلك لأن مشيئة الله هي ألا يتغير المستقبل. ولكن الموت سيأتي بعد أن عبر المضيق وبعد أن عمل في محل الكريستال ..... لقد عاش حياة حافلة كل يومٍ من أيامه منذ غادر بلده".[35] وهكذا تتضح صورة الذات والآخر في كلا العملين.

المكان والزمان

يمثل المكان في الرحلة مثلثاً هندسياً، فهناك:

1. مكان الانطلاق وهو المكان الأم أو نقطة البداية التي تحمل من الشحنات النفسية الكثير.

2. المكان الجسر وهو فضاء العبور والمواجهة مع الآخر.
3. المكان الهدف والذي يحدد نوعية الرحلة وهدفها.[36]

وهو يمثل في العملين الأدبيين ركيزة مهمة من ركائز المقارنة، والمكان المشترك الأول هو صحراء مصر[37]، ويبدأ (سانتياجو) في التعرف على الصحراء مع تحرك القافلة في رحلتها، فـــ "الصحراء امرأة متقلبة تبعث في الرجال الجنون أحياناً".[38] "وفي الصحراء لا يعني العصيان إلا الموت"، لذا فأهم قانون هو طاعة زعيم القافلة، وبدأ الجميع في الدعاء طالبين حماية الله لهم من رعب الصحراء. يقول حادي الجمال: "الصحراء مترامية الأطراف نائية الآفاق تشعر الإنسان بضآلته وتلزمه الصمت"، فهي آية من آيات الله سبحانه وتعالى، فكر الشاب وقال: "يمكنني أن أتعلم من الصحراء".

ويتشابه وصف الصحراء أثناء الرحلة عند المؤلفين، فهي عند (باولو) "تنبسط في بعض الأحيان رمالاً، وفي أحيان أخرى في شكل حجارة، وعندما كانت القافلة تصل إلى أرضٍ من الحجارة كانت تدور حولها ..... كانت الجمال تعاني فينزل الحداة لمساعدتها، ينقلون أحمالها فوق ظهورهم إلى أن يعبروا الممر الصعب".[39] وعند بهاء: "كانت الأرض تصعد بالتدريج وتمتلئ بقطع من الحجارة والزلط، تحتم عليهم أحياناً أن ينزلوا من على الجمال ويخففوا عنها أحمالها، كانت الجمال تتعثر وترتكز على ركبها وتوشك أن تنزلق".[40]

وعلى الإنسان أن يحب الصحراء "لكن دون أن يعطيها كل ثقته، فهي محك اختبار للرجال ..... وهي تقتل من يترك نفسه للشرود".

وفي قصة بهاء طاهر نجد تشابهاً كبيراً في وصف الصحراء، والقوافل وطريق الرحلة، ففي ليلة السفر صلّى (فريد) والدليل صلاة يطلبان فيها حماية الله ورعايته، وقام والد (فريد) بالرقية الشرعية واضعاً يده على رأس ولده. وعند (باولو) قام الشيخ بتأدية حركات غريبة فوق رأس (سانتياجو) قبل سفره. وكما تحدثت رواية (باولو) عن الحيات في الصحراء فقد شرح جنكنز لـــ (فريد) أنواع الحيات التي تسكن الصحراء المصرية "إن أخطر شئ بالطبع هو الدفان الذي يسميه المصريون: الطريشة". وكما حمل (سانتياجو) بعض النقود التي يفتدي بها نفسه من بدو الصحراء، حمل (فريد) بعض الجنيهات الذهبية للطوارئ. وكما بدأ (سانتياجو) مرحلة من التأمل في الصحراء، بدأ (فريد) تلك المرحلة فقد "أحب الصحراء، ومنذ اليوم الأول بدأ يتابع حواراً بين الشمس والرمل"[41] مع اختلاف المشاهد بين الظهيرة والغروب والليل.

ويصوّر المؤلف تدرّج ألوان الصحراء فليست كلها متساوية. كانت في

البداية صفراء ناعمة ثم أصبحت "كالحة ..... كانوا يقطعون الطريق وسط تلالٍ ترابية اللون كالرماد ..... ويمشون فوق أرضٍ بنية بلون الصدأ". ويبدو وصف تحولات الصحراء عند بهاء طاهر أكثر واقعية من وصف (باولو) الذي ظهرت لديه الصحراء كياناً واحداً في معظم الرواية. يقول ديزموند ستيوارت: "الصحراء كالبحر هيهات أن يقال عنها أنها خلاء محض بل إنها ملتقى لقوى عديدة".(42)

والصحراء تعلم الإنسان الحكمة، ويتفق (باولو) وبهاء في وصفهما لذلك، فحين تعرضت القافلة للخطر قال حادي الجمال: "من يغامر بدخول الصحراء لا يمكن أن يرجع أدراجه، ومادام التقهقر مستحيلاً فلا ينبغي الاشتغال بشئ سوى بأفضل طريقة للتقدم والباقي بيد الله سبحانه وتعالى". وهو نفس المشهد عند بهاء طاهر، حيث يقول شدوان لراضي: "سنهلك فردّ راضي باستسلام: هذه مشئيته ..... لا رجعة الآن، البوصلة والمسير".

والواحة نقيض الصحراء الذي يقبع داخلها، وهي في رواية (باولو) واحة الفيوم، وفي رواية (بهاء) واحة سيوة. وتمثل في الروايتين المكان الجسر، فهي المعبر نحو الهدف، وتعني للإنسان: الظل، والماء، والملجأ من الحرب. وهي كما يقول الشاب معجزة فلم يستطع أن "يسيطر على قدر من ذلك الحبور الذي يشعر به كل مسافر عندما تظهر أمامه بعد الأرض الصفراء والسماء اللازوردية خضرة تلك الغابة من النخيل".(43) إنه يراها كنز آخر "ربما تكون الصحراء قد خلقت لكي يتمتع الإنسان برؤية غابات النخيل".

وقد أعجبني وصف ستيوارت ــ وهو رحالة إنجليزي قدم إلى مصر عام 1965 ــ لجامع أحمد بن طولون قائلاً: "إذا كان صحن الجامع هو بمثابة الصحراء فالفسقية هي الواحة والعقود هي الغابة التي ترمز لما في النفس من تشابك المنازع المتضاربة".(44)

ويرى بهاء طاهر أن وصف (باولو) للواحة أسطوري، فالشاب يقول: "هي أكبر بكثير من بعض القرى في إسبانيا فقد كانت تضم ثلاثمائة بئر وخمسين ألف نخلة، وعدد عدداً ضخماً من الخيام". ويشبهها الإنجليزي بأجواء ألف ليلة وليلة وهو ــ في اعتقادي ــ وصف مبرّر، لأن الواحة هنا واحة (باولو) كما يراها ويتخيلها مازجاً في ذلك بين كونه برازيلياً ورحالة يرى مصر بوجهة نظر خاصة. يقول ياسين نصير: "إننا لا نعيش في المكان الواقعي فقط بل نعيش في صورته التي نرسمها في مخيلتنا عنه".(45)

من هنا نجد المؤلف يصف خيمة زعيم القبيلة في أجواء متأثرة بطابع ألف ليلة وليلة: "كانت الأرض مغطاة بأجمل سجاجيد خطا فوقها في حياته، وكانت

تتدلى من أعلى ثريات مذهبة، ومرصعة تحمل الشموع الموقدة، وكان رؤساء القبائل يجلسون متكئين بمرافقهم على حشايا من الحرير المطرز".[46] والمؤلف متأثر في وصفه بالفرنسيين والإنجليز في القرن التاسع عشر، والذين وصفوا البذخ الشرقي على طريقة ألف ليلة وليلة، فالشرق في نظرهم: "كريم الضيافة، متسامح ..... محب للاستمتاع، ميال إلى الكسل، يؤمن بكثير من الخرافات".[47]

وفي الواحة كان (سانتياجو) يعثر في بعض الأحيان على قوقعة، فيعرف أنها كانت في عصرٍ بعيد بحراً مترامي الأطراف، وهناك رواية مأثورة أن ولاية الفيوم لم تكن قبل عهد يوسف عليه السلام سوى بحر واسع جاءت مياهه عن طريق النيل. وقد أمر يوسف عليه السلام ببناء جسر يمنع تدفق المياه إلى تلك المنطقة مما أدى إلى تحولها إلى واحة الفيوم.[48] وهناك موقف مشابه في قصة بهاء طاهر حيث لاحظ (فريد) "مزيداً من بقع العشب الأخضر تمتد وسط الرمل، قال لي شدوان هذه ضفاف سيول".

وكما سار (سانتياجو) في الواحة طويلاً حتى أشرف على الصحراء، سار (فريد) مخلفاً وراءه البيوت الطينية وأشجار النخيل.

وتمثل الأهرام المكان الهدف في رواية (باولو)، ولها زوايا متعددة في الرؤية، فهي عند بائع الكريستال مجرد "كومة من الحجارة ويمكنك أن تبني هرماً مثلها في حديقة بيتك".[49] لكنها بالنسبة للبطل موطن كنزه، يقول المؤلف: "لعل كنزه يكون هو مجيئه إلى هذه الأرض الأجنبية". إن مصر وما تتضمنه من: صحراء، وواحة، وأهرام تمثل كنز الشاب الحقيقي. "إن تأليف النص المكاني يتبع ثيمة محورية تولدها الاستعارة المكانية الترابطية"[50]، فهذه الاستعارة تتوالد عنها دلالات كثيرة:

- مصر حلم جميل.
- كل من يزورها يستفيد ويتعلم.
- الأهرامات ذات حضارة قديمة وعريقة.
- العالم ينظر إليها بإعجاب.
- يستطيع الشاب أن يفتخر بزيارته لها.
- كل ما يتصل بها إنساني وعريق .....

ويمكن أن نستنتج أن (باولو) يرى في الشرق وخاصة مصر وصحرائها علاجاً نفسياً وروحياً وملجأ آمن من الأحداث التي كانت تجري في البرازيل حيث

الحكم العسكري والفوضى السياسية آنذاك. لقد كان ينشد السكينة الروحية والإيمان حين بدأ رحلته إلى مصر عام 1987، لذا فقد رآها من الزاوية التي توفر له احتياجه الروحي. وقد وجد ذلك في البساطة والتأمل حيث الفطرة التي يعيش عليها البدو بعيداً عن الحياة المعقدة. لقد هاجرت مثله من قبل مدام دي ستال من فرنسا مضطرة وضائقة ذرعاً بأحداث بلادها إلى ألمانيا فرأتها جنة ثقافية وحضارية، كما سكن شوقي إسبانيا منفياً عن مصر فرأى فيها الماضي العربي المفقود.[51] وهكذا فللشعور النفسي أكبر الأثر في زاوية الرؤية.

إن مصر المكان "فيها الدواء العجيب الذي يشفي كل الأمراض، ويمنع معظم الأدواء وهو خفة الروح أو الضحك"[52]، فهو يشبه السيمياء بسيط ومعقد في نفس الوقت.

والأهرام بوصفها مكاناً تحمل داخلها حضارة الفراعنة وكنوزهم الثمينة. إن "الداخل إليها سيجد العربات الحربية، وأدوات الزينة، وجلسات الحكم، وشكاوى المظلومين، ومحصول كل سنة ....."[53] والأهرام المكان قديم وجديد في نفس الوقت، فهو قديم منذ آلاف السنين وهو يكتسب حداثته من انبهار مشاهده لأول مرة وفي كل مرة. يقول ديزموند ستيوارت: "الأهرام، العجائب التي أقامها خفرع مع ورثته، قد تألفت من آلاف الكتل من حجر رملي جرى نحتها أولاً من تلال المقطم، ثم دفع بها إلى الغرب طوفاً على الماء عبر الوادي مجتازة موقع المدينة اليوم وشاع بعد ذلك استخدام هذه الكتل الميسرة من لحم الصحراء المتجمد في عمارة إمارة المسلمين للمساجد والقصور".[54]

ويصف المؤلف رؤية الشاب للأهرام: "راح قلبه يخفق في صدره، فهناك كانت تنتصب في نور القمر المكتمل بدراً وأمام عينيه في شموخ ومهابة أهرام مصر"[55]، يقول ياسين نصير: "إذا كان المكان أثراً مهماً ويمتلك شحنات تاريخية ورمزية وأسطورية ودينية فهو يصبح قيمة".[56]

وقد قامت في عام 1969م رحلة سميت (رحلة المركب رع) عبر المحيط الأطلنطي للوقوف عما إذا كان هناك اتصال بين (الحضارة المصرية القديمة) و(حضارة الآزتك في أمريكا اللاتينية) حيث شكّل بناء (الأهرام) أحد المعالم المميزة لحضارتهما رغم بعد المسافة بينهما.[57]

وكما تتحدث الرواية عن الأهرام نجد ذكر بهاء طاهر لهرم سقارة، كما يقول مصوّراً الأهرام "كانت الأهرام الثلاثة متوازية وزرقاء في نور الفجر".[58]

وتأتي مكانة مصر دينياً حيث يستعيد (باولو) قصة سيدنا يوسف عليه

السلام "استطاع ذلك الرجل أن يخلص مصر من المجاعة بفضل حلم فرعون عن البقرات السمان والعجاف، كان اسمه يوسف ..... وقد أصبح شعب مصر من أغنى شعوب الأرض".[59] إن المؤلف يرى مصر من منظور ديني بوصفها مكاناً مقدساً أتى إليه الأنبياء. ويشترك معه بهاء طاهر فيقول: "إنه ليس غريباً أن معظم الرسل عليهم السلام ظهروا في الصحراء أو عاشوا بها".

يقول (باولو): "على مدى القرون ظلت الأهرام تتأمل من عليائها ما يرقد تحت سفحها". إن الأهرام في نظره ليست مجرد حجارة لكنها رمز الحضارة المصرية القديمة بما فيها من علومٍ ومعارف وقيم. وهكذا فهو يراها نابضة بالحياة: "نظر مرة أخرى إلى الأهرام، وكانت الأهرام تبتسم له، وبادلها الابتسام".[60] وهو ما يطلق عليه ظاهرة (الميتامكان). إن الأهرام (المكان) كلما عبر أزمنة وتواريخاً يحدث تداخل مستمر للأحداث يولد حكايات وصوراً عنه، وهو ما يجعل بعض الأمكنة حاضرة لكثرة الماضي فيها، من هنا تبدو ثمة ماورائيات كثيرة تتعلق بهذا المكان.[61]

ويبدو أحدث اهتمام بالأهرامات هو نشأة (علم الأهرامات) أو (الأهرامولوجيا) Pyramidology، وهو "الاعتقاد بأننا نكون في حالة أحسن ونعيش لمدة أطول كلما بقينا زمناً أطول داخل الهرم عنا داخل المكعبات التي نعيش فيها، فالعيش في منازل مكعبة أمر يصيبنا بالكآبة".[62] كما أن التأويل قد يجعل المكان التراثي معاصراً والمعاصر قديماً: الكهف ثورة ــ المعمل صناعة ..... كل ذلك حسب رؤية المؤلف للمكان وتأويله.

ــ إسبانيا:

والأماكن الأخرى في الروايتين متعددة: إسبانيا، ومن مدنها (تاريفا) أو Tarifa وهي آخر مدينة على حدود إسبانيا مع المغرب واسمها العربي (طريف) ثم حرفت وأصبحت تاريفا.[63] يقول (سانتياجو): "تاريفا على مبعدة بضع ساعات من إفريقيا، ولم يكن على المرء إلا أن يعبر المضيق في مركب".[64] ومدينة (سالم) وهي "مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة وكانت من أعظم المدن، وأشرفها، وأكثرها شجراً وماءاً".[65]

و(باولو) في معظم رواياته يستهلم (إسبانيا) مكاناً محبباً إليه، يقول: "إن كل أوهامي وتخيلاتي كانت متوجهة إلى إسبانيا، لذلك لدي هذا العدد الكبير من الكتب التي اتخذت من إسبانيا منطلقاً لها".[66]

ــ المغرب:

حيث مدينة طنجة، وهي من أهم مدن المغرب، وتقع على البحر وهي ميناء

كثير من المسافرين، فهي "دائمة السفر دون أن ترحل". وفيها ولد الرحالة (ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي) يوم السابع عشر من شهر رجب سنة 703 الموافق 24 فبراير 1304م، وقد قضى في رحلاته ثلاثين عاماً.[67]

والعربي يقول للشاب: "طنجة ليست كبقية إفريقيا نحن هنا في ميناء والموانئ عادة أوكار للصوص". وهو يصف السوق المغربي: "كان هناك آلاف الأشخاص يتجادلون ويبيعون ويشترون. الخضر والخناجر جنباً إلى جنب، ومعها السجاجيد والنراجيل من كل الأنواع".[68] هذه الحركة المستمرة هي ما تهب المكان روحه وصفته.

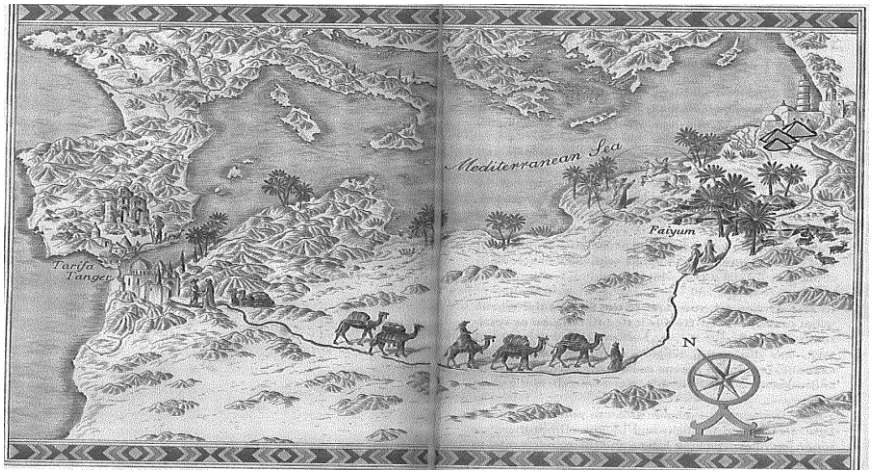

والمكان يمكن أن يوحي بالرهبة، والخوف: "إنه في بلدٍ غريب لا يفهم فيه حتى اللغة التي يتكلم بها الناس". ويتدرج انطباع الرحالة في بلد الرحلة فهو: "يرى أولاً مشاهد طبيعية، ناساً، ثقافة في تجلياتها المختلفة ثم ينفعل ثانياً، يشعر بالرضا أو السخط، بالسعادة أو التعاسة في هذا المحيط الغريب الذي قدم إليه ثم يتفاعل معه سلباً أو إيجاباً. وفي النهاية يؤول ويحكم. كل هذه المراحل محكومة بمعطيات شخصية الرحالة وطبيعة البيئة التي يزورها".[69]

ولذلك فإن للآخر صورتين: الأولى قبلية في ذهن الراوي قبل انطلاق الرحلة، وتشكل لديه إما عن طريق السماع، أو القراءة. الثانية: بعدية، معدّلة بعد انتهاء الرحلة فعلياً. وتعد المرحلة الحاسمة هي لحظة تحويل الآخر من التجربة المعيشية إلى الكتابة التخيلية.[70] ومن هذا المنطلق اختلفت تجربة البطل مع بائع الكريستال المغربي.

وفي رواية بهاء طاهر نجد الأماكن تتراوح بين مصر، وفرنسا. حيث

القاهرة العاصمة ومنطقة الهرم "إحساسه بأن المدينة هناك خلف ظهره والسيارات التي تأتي بين الحين والآخر، وملامح هرم سقارة على البعد، كل ذلك كان يعطيه إحساساً بالألفة، بأن الصحراء امتداد لمدينته وحياته".(71)

ويأتي التضاد والتقابل بين الأماكن، فهو في الصحراء يتذكر حديقة الجامعة في فرنسا حيث الزهور والرياحين. والمؤلف يأتي على ذكر: مطروح، والأقصر، والنيل، والكرنك. ويأتي وصف المعبد المهجور الذي اكتشفه (فريد) "كان المدخل ناحية الشرق تصعد إليه خمس درجات من حجر، ويتوسط أربعة أعمدة من جرانيت وردي، وإلى يمين المدخل ويساره جدران كبيران نقشت على كلٍ منهما صورة لفرعون نحيل، ولكنه بدين البطن".(72)

ويمكن الرمز بالمعبد الخماسي الأضلاع إلى مصر القديمة الأثرية (مصر العليا ــ الوسطى ــ السفلى) وبالفرعون البدين إلى الخديو الخاضع لسلطة الإحتلال.

وقد يكون الرمز بالأصنام الصغيرة الكثيرة في المعبد إلى المصريين الذين يمكن بيعهم في ليبيا، حيث العمل من أجل المال.

ونجد أن (فريد) يتفاعل مع المعبد ويشعر بضرورة الوجود فيه. إن المكان هنا حامل لدلالات نفسية، وتاريخية، وميثولوجية، ودينية، وهو بذلك يصبح نافذة على الواقع الاجتماعي الخارجي ..... وفي الوقت نفسه فهو يتفاعل مع البناء الفني الداخلي للشخصيات. إن شدوان وراضي شعرا بالرهبة من المعبد، وقررا الفرار، بينما (فريد) أصرَّ على البقاء وحلّ غموضه.

والزمن وثيق الصلة بالمكان، وهو المنظم لأحداث النص، والتنظيم هنا نوعان: تنظيم داخلي أي إيقاع واحد ككل العمل مع تنوعات داخلية تغذية، وإيقاع خارجي يحيل إلى مراجع وأزمنة، وأمكنة أخرى.(73)

والزمن في المقارنة الأدبية يطرح عناصر التاريخية في المدرسة الفرنسية. إن قصة بهاء طاهر تسبق رواية (باولو) بثلاثة أعوام: 1985 ــ 1988. وهذا الفاصل الزمني قد يشي بالإتصال المباشر المؤدي للتأثير والتأثر، ورغم معرفة (باولو) بالثقافة العربية، إلا أنه لم يطلع على مؤلفات بهاء طاهر.

والزمن واضح ومحدد في الرواية على عكس رواية (باولو) فقد تخرج (فريد) من الجامعة عام 1924، وجاءت مارتين إلى مصر عام 1925، ويرد

ذكر (السراي) والبشاوات. إن الفترة الزمنية التي تدور حولها الرواية هي بدايات القرن العشرين، وهي الفترة التي استمرت فيها مصر منذ عام 1922 حتى عام 1952 في العهد الملكي.[74] وقد شهدت مصر في تلك الفترة مجموعة من التغيرات المثيرة في مختلف المجالات حيث طبعت تلك الفترة من الحياة السياسية 1922 ــ 1940 بطابع الصراع الذي يمثل تحالف قوى القصر والإنجليز طرفه العدواني، وتمثل القوي الوطنية طرفه المناضل مما عكس آثاره على الناحية الاجتماعية، والنفسية، والفكرية حيث الدعوة إلى الفرعونية واستلهامها في الأدب والتأثر بالغرب، وغير ذلك.[75] إن سياسات التحديث في عصر الخديوي إسماعيل والإحتلال البريطاني، والتغيرات الاقتصادية وزيادة عدد السكان في المدينة كانت جزءاً من تحولات أكبر تركت أثرها في مصر وتركيباتها.[76]

ويتبع المؤلف أسلوب التداعي أو التذكر حيث تتسلل أحداث ماضية خلال الحاضر فتلقي الضوء على معنىٍ معين، مثال ذلك تذكر حشمت لرحلته لأواسط إفريقيا، وتذكر (فريد) لمارتين ولقاءاته معها، وذلك خلال رحلته في الصحراء.

والمولف يسعى إلى تحديد الزمن القصصي بشكلٍ دقيق، فيقول: "في أول الصبح في يومٍ من أواخر شهر نوفمبر 1932 خرجت القافلة". والمؤلف يمزج الزمن الحاضر أو زمن الرواية 1930 ــ بالزمن الماضي ــ الحضارة الفرعونية، فهو ينسحب تدريجياً بوصفه رحالة من الواقع إلى الماضي حيث المعبد والنقوش. وهو بذلك "يترك واقع البلد ويتجاوز حاضره إلى ماضيه، ويغوص في أعماق التاريخ بحثاً عن حضارة اندثرت وخلفت وراءها شواهد ناطقة".[77]

ونلاحظ أن بهاء طاهر مهتم في معظم أعماله الأدبية بهذه الحقبة الزمنية (الحضارة الفرعونية)، تجد ذلك في نفس المجموعة القصصية، كما نجده في روايته (واحة الغروب) الحائزة على جائزة البوكر، وقد يعود ذلك لدراسته التاريخ في جامعة القاهرة، وبذلك يجتمع في القصة ثلاثة أزمنة:

- الزمان الفرعوني القديم.
- الزمان الحديث 1924 ــ 1932.
- الزمان الحاضر وقت الكتابة 1985.

حيث يتخذ المؤلف تلك الفترات مرجعاً تاريخياً لإسقاطات هادفة في العصر الحديث.

ويختلف إيقاع الزمن فهو في الصحراء بطئ، بينما في الواحة سريع. وقد مكثت القافلة عشرة أيامٍ في الواحة وهو وقت أقل مما أمضاه (سانتياجو) في واحة الفيوم. ويمثل الزمن بانقسامه اليومي بين الليل والنهار تساؤلاً محيراً. إن مارتين تسأل (فريد): "قل لي لماذا أسدل ستائر كثيفة في النهار، وأحب الليل، لماذا صار

النور يجرح عينيَّ؟".[78]

وفي النص الفرعوني المنقوش تحت التمثال يقابل (فريد) عبارة متكررة:

"لم يبق وقت" ولم يفهم معناها، والمؤلف يعبّر عن مرور الزمن بقوله: "طلعت شمس وغربت شمس ــ وفي اليوم الأول، الثاني ......"، وهو في ذلك يتشابه مع (باولو) في طريقة تعبيره عن الزمن.

أما فكرة (باولو) عن الزمن فتتضح في مقابلة صحفية، يقول: "إني أترك الماضي والمستقبل، المهم هو ما أفعله في اللحظة الراهنة وهو ما سيؤثر على ماضيَّ ومستقبلي ..... وهو الإحساس بانعدام الزمن".[79]

ومن هذا المنطلق نجده لا يحدد زمناً في الرواية، ونقصد بذلك الزمن الموضوعي "الذي هو مقياس بارنوميتري، والذي هو جزء من الزمان الكلي، لكنه في الأدب محدد بفترة زمنية معينة اختارها المؤلف لنصه، بينما الزمن الفني هو حركة الشخصيات والأحداث، إضافة إلى انطباعات المتلقي".[80]

والمؤلف مع ذلك لا يغفل الزمن تماماً، بل يركز على الزمن الفني أي زمن الرواية وحركات شخصياتها، ولكن على نحوٍ غير محدد، بل يتركه مفتوحاً فهو بين الليل والنهار، وساعات اليوم الواحد، والشهر، والسنة، يقول بهاء طاهر: "أنت لا تعرف في أي وقت تدور أحداث الرواية ــ إذ لا يوجد في الرواية ذِكْر لسيارة أو طائرة".[81]

ولكننا نجد تفصيلاً صغيراً جاء في ثنايا الرواية يمكن أن يرشدنا إلى الزمن، منه أن هذا الرجل كان مزارعاً لكنه غيَّر مهنته بعد فيضان النيل: "ذات يوم بدأت الأرض تهتز، وفاض النيل محطماً جسوره وتحتم عليَّ أن أجد وسيلة أخرى للعيش، وها أنذا اليوم حادٍ للجمال".[82]

إذن فالرواية تستلهم تلك الفترة التاريخية. كما يوجد بالرواية ذِكْر للمطبعة في الزمن القديم، وأسلحة البدو التي هي مزيج من السيوف والبنادق، وفيما عدا ذلك فالزمن هو الزمن الفني.

إن بائع الكريستال يردّد دائماً: "لقد تأخر الوقت لأن أغيّر أي شئ".[83]وينقل لنا المؤلف إحساسه بالزمن "لقد شعر بنفس إحساس القلق الذي ينتابه كل صباح" وذلك من منطلق إحساسه بالتشاؤم والسلبية. بينما على النقيض يستيقظ البطل بعد أن تمت سرقته، وقد اختار أن يستمتع بصباح جديد نشيط.

ويوضّح المؤلف وجهة نظره تجاه الزمن على لسان حادي الجمال الذي يقول "إني لا أعيش في الماضي ولا في المستقبل، أنا لا أعيش سوى حاضري"، وذلك سر السعادة، وهي فلسفة قيمة ألّف فيها العديد من الكتاب منهم: Eckhart

Tolle سلسلة كتب بعنوان: Bower of now حيث يتحدث عن قوة اللحظة الحالية، وأن حياة الإنسان عبارة عن رحلة لها هدفان: خارجي وهو "الوصول إلى الهدف وتحقيق الطموح".[84] وداخلي وهو "يتعلق بكيفية تحقيق الهدف أو جودة الوعي الذاتي في اللحظة الحالية". وينتمي الهدف الخارجي إلى البعد الأفقي للزمن، أما الداخلي فإلى البعد الرأسي للزمن، والمهم هو كيفية التوفيق بينهما بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

وفي الرواية فكرة مهمة عن الزمن، وهي أنه كلما كان الحاضر صحيحاً ومنتجاً كان المستقبل أفضل. فعلى أساس أفعالنا الحالية يكون مستقبلنا. ويضمّن المؤلف زمن الرواية أزمنة أخرى، حيث الزمن المرتبط بالأهرام: قرون طويلة ترمز لحضارات متعاقبة على مرّ الزمن، وقصة عن السيدة العذراء مريم عليها السلام، ثم قصة عن امبراطور روما (تابيريوس)، وبذلك يصبح الزمان عبارة عن "علاقات متضافرة، ودائمية الحركة، ومنتظمة بشبكة من الإشارات والرموز وليس بنى متقطعة ومعزولة".[85]

الحلم، والتصوف، والسيمياء، والرمز

إن رواية (باولو) قائمة منذ البداية على حلمٍ راود الشاب مرتين عن كنز في صحراء مصر. وقد أعطاه البطل أهمية بحيث حاول معرفة تفسيره عن طريق عرافة عجوز تفسر الأحلام. والرواية تتناول الأحلام بمعنى الرؤيا المنامية، وبمعنى الطموحات في الحياة، حيث كان حلم الشاب هو طموحه في ذات الوقت. رحلة إلى مصر يكتشف فيها ذاته والآخرين حتى يستحق الكنز الذي كان موجوداً عند قدميه منذ البداية. ويمكن أن تكون مصر في الحلم رمزاً لليوتوبيا أو المدينة الفاضلة التي يحلم بها المؤلف. والرؤيا المنامية ثلاثة أنواع: الرؤيا الصالحة بشرى من الله عز وجل، ورؤيا المسلم التي يحدث بها نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان.[86] وقد جاء في رؤيا البطل طفل صغير يقوده إلى كنز عند الأهرام، وقد أخبرته العجوز أن الطفل في الرؤيا يدل على صحتها. وقد أورد (ابن سيرين) في كتابه أن رؤيا الطفل حق لأنه لا يعرف الكذب.[87]

كما راود بائع الكريستال المغربي حلم أن يسافر إلى مكة لكنه لم يتحقق، فالأحلام تختلف، ورد الفعل تجاه تحقيقها يختلف أيضاً من شخصٍ إلى آخر. ومن الأحلام والطموحات التي تحققت في الواقع حلم روبرت جودارد ذات يوم من سنة 1988 بالهجرة إلى المريخ، وفي يوم 19 أكتوبر عام 1976 كانت هناك مركبتان تدوران حول المريخ، ومركبتان تتجولان على سطحه تعود أصولهما إلى أحلام فتى فوق شجرة كريز.[88]

وتتناول الرواية فكرة ظهور بعض الكائنات الخرافية، فالشيخ العجوز أو الملك الغريب الذي ظهر للشاب في بدايات الرواية كان خرافياً. يقول الشاب: "أحياناً ما أظهر في شكل فكرة جيدة تحل المشكلة". يقول أنطونيو كانديدو: "في البرازيل تمتزج الثقافات البدائية والخرافات بالحياة اليومية أو تمثل ذكريات مازالت حية لماضٍ قريب".(89)

قد يكون العجوز ملاكاً، أو تجسيداً للاوعي الباطني للبطل، وقد يكون غير ذلك، فالرواية مليئة بالخرافات لكنها تقترب من منطقة المعتقدات الشعبية، والمعجزات أكثر من الفانتازيا والتغريب.

وفي الرواية تناول لمسألة (العلامات) والتي يعرفها (باولو) بأنها "هبة من الله وإشارات ترشدك إلى مصيرك، وهي غير منطقية في الظاهر".(90) والمؤلف مؤمن بالتفاؤل والتشاؤم بأشياء مثل: الفراش، والجراد، والسحالي، ويقول أنه يتفاءل ــ مثلاً ــ بظهور ريشة طائر أبيض لأن ذلك معناه ولادة كتاب جديد.(91)

وتوضح الرواية اختلاف الدين الإسلامي عن الأديان الأخرى، فالدين الإسلامي يحرم شرب الخمر "لا يوجد نبيذ هنا فالدين يمنعه". وقول بائع الكريستال: "شريعة القرآن تقتضي بتقديم الطعام إلى أي جائع". ويقول: "لقد أبلغنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الذي لم يكلفنا سوى بخمس فرائض نلتزمها مدى الحياة أهمها: "لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله"، والفرائض الأربعة الأخرى هي إقامة خمس صلوات في اليوم وصوم رمضان، وواجب الزكاة للفقراء، والفريضة الخامسة على كل مسلم أن يسافر في رحلة". وفي الرواية ما يتفق مع مبادئ الدين الإسلامي فلكل إنسان عمله الذي يوافق قدراته، فللسيميائي مهمة تحويل المعادن إلى ذهب، وللشاب البحث عن الكنز، وهو ما يتفق مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل ميسر لما خلق له".

والتصوف درجة من درجات الإيمان، وفي الرواية ملامح قوية من التصوف، والصوفية "جماعة يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد، لكنهم جنحوا بعد ذلك في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة".(92) ومن الشخصيات الصوفية المعروفة رابعة العدوية ت 180 هـ، ذو النون المصري 245 هـ، الغزالي 505 هـ، ابن عربي 638 هـ، وغيرهم.

وللروحانية التي تقوم عليها الصوفية أثر كبير في جذب الغربيين إلى الإسلام، ومنهم الفيلسوف الفرنسي (رينيه جينو) الذي أسلم وتصوّف وسمى نفسه (عبد الواحد يحى)، وقد دافع عن الروحانية الإسلامية مبيناً سمو التصوف

الإسلامي. وكذلك (مارتن لنجز) الذي يقول لقد: لقد وجدت خلاص روحي ونجاتها في التصوف، ومدارس التصوف هي: مدرسة الزهد، مدرسة الكشف، مدرسة وحدة الوجود، مدرسة الاتحاد والحلول.[93]

ويرى (هاملتون جب) أن التصوف الإسلامي ابتعث عن طريق الاتصال بالتصوف المسيحي حيث النزعة الزهدية في الكنيسة المسيحية الشرقية.[94] وليس ذلك صحيحاً بل هو قائم على أسس إسلامية نقية، ربما تكون قد تأثرت بمرور الزمن بفلسفات مغايرة. ومن مصطلحات الصوفية: الكنز الخفي، كيمياء السعادة، كيمياء العلوم، وغيرها.[95]

ويبدأ الشاب مع رحلته في الصحراء مرحلة من التأمل الطويل: إنه في كل مرة "كان يراقب البحر أو النار يمكنه أن يقضي ساعات دون أن ينبس بكلمة مستغرقاً في اللانهاية".[96]

وعلى الإنسان أن يتأمل حكمة الله في الكون. إن حادي الجمال يقول: "لقد استطعت أن أفهم حكمة الله. إن كل ما نخشاه هو أن نفقد ما نملك. ولكن هذا الخوف يزول عندما نفهم أن حياتنا وحياة العالم قد خطتهما يد الله سبحانه".[97] وتتردد في الرواية كلمة (مكتوب) فعلى الإنسان أن يعمل ويترك الباقي لله سبحانه وتعالى. وترتبط السيمياء بالتصوف، حيث يقول المؤلف: "ليس من السهل اكتشاف حجر الفلاسفة، لقد قضى السيميائيون في مختبراتهم سنوات عديدة يراقبون تلك النار التي تنقي المعادن، ومع طول تحديقهم يتسرب إلى أعماق قلوبهم شيئاً فشيئاً زهد في كل أباطيل الأرض"[98]، فالزهد والتأمل وتنقية الروح من الأمور المشتركة بين التصوف والسيمياء.

والسيمياء أو السيماء العلامة.[99] والسيمياء Alchemys هي الكيمياء الخرافية مثل: تحويل المعادن إلى ذهب، والسيميائي Alchemist كيميائي مختص بالكيمياء القديمة.[100]

وقد كانت السيمياء معروفة في العصور الوسطى، نجد ذلك في (محاورة عن السيمياء) De Alchimisa للكاتب الإيطالي بتراركا Petrarca كما نجدها في محاورة من محاورات أرازموس اللاتينية (حديث في السيمياء) Colloquium Alcumistica.

وقد كتب المفكر والمتصوف (رامون لول) كتاب Libre de les Marvelles del Mon أو عجائب الدنيا تحدث فيه كثيراً عن السيمياء.

وممن كتب عن السيمياء أيضاً (أرنولدس دي فيلانوفا) الفرنسي

المتخصص في ذلك العلم (1235 ــ 1314م)، ومن أهم مؤلفاته كتاب (سبحة الفلاسفة).[101]

ويذكر محمد عناني أن ابن خلدون قد عنى بالسيمياء قديماً الرجم بالغيب أو التنجيم، يقول: "كان شيوخنا ينقلونها عن شيوخ المغرب".[102] والسيمياء حديثاً علم العلامات Semiologie، وهو ما أطلقه (دوسوسير) في بدايات القرن العشرين للدلالة على علم عام للعلامات ينطلق من اللسانيات بصفتها فرعاً نموذجياً: وهو Semiotique، والذي اعتمده الفيلسوف الأمريكي (شارل بيرس) ليدل على علم للعلامات يصدر عن المنطق والفلسفة.[103] والسيمياء أو "تحويل المعادن إلى ذهب واكتشاف إكسير الحياة" هي محور رواية (باولو) وهي سر كونها رمزية. فقد جذبته الفكرة وأخلص لدراستها مدة 11 سنة منذ السبعينات حيث نالت الفكرة شهرة واسعة في البرازيل.

والشاب الإنجليزي يتحدث عن السيمياء كثيراً فهي هدف حياته: "لقد أنفق جزءاً كبيراً من الثروة التي خلفها له أبوه في سعي لا جدوى منه وراء حجر الفلاسفة ..... تردد على أفضل المكتبات واشترى أهم الأعمال عن السيمياء"[104]، وهو ما فعله (باولو) نفسه في بداية رحلته مع السيمياء، يقول: "كما فعل بطل الرواية بدأت في إنفاق مالي القليل في شراء كتب مهمة، وإنفاق ساعات من كل يوم في دراسة مصطلحاتهم الغامضة".[105]

إذن فالشاب الإنجليزي والآخر الإسباني يجسدان (باولو كويلو) في مرحلتين حاسمتين من حياته. المرحلة الأولى كان فيها يعتمد الطرق العقلية المحضة في الوصول إلى الحقيقة. والمرحلة الثانية حين تعرّف على معلمه (رام) الذي أرشده إلى التأمل والحدس والتركيز على المشاعر الروحية.

وقد عرف العرب السيمياء، إن الشاب الإنجليزي يكتشف في أحد الكتب أن "سيميائياً عربياً شهيراً زار أوروبا قبل عدة سنوات قيل إن عمره نيف على مائتي عام، وإنه قد اكتشف حجر الفلاسفة وإكسير الحياة". ويرد في بعض المراجع أن محمد بن عميل التميمي الفيلسوف العربي المعروف باسم (الصادق) كان من أشهر من كتب عن السيمياء. وقد عُرف في كل أنحاء غرب أوروبا في العصور الوسطى باسم Senior وله كتاب في العلوم الفلكية والتنجيم والسيمياء يسمى (الكتاب الشيخ).[106]

ويبدو اسم الشيخ العجوز الذي قابل الشاب في مدينة طريف Melchizadek والذي علمه الحكمة، يشبه في الجزء الأخير منه Zadek لقب عالم السيمياء العربي (صادق) في العصور الوسطى.

ويبتدع (باولو) شخصية مماثلة هي السيميائي العربي "رجل عربي خارق القدرات يعيش في واحة الفيوم، عمره مائتا عام ويستطيع تحويل المعدن إلى ذهب". وهكذا يبدو السيميائي المصري كنزاً آخر من كنوز الرحلة إلى مصر. ويرى البعض أن الموطن الأول للسيمياء (الكيمياء القديمة) هو الإسكندرية حيث كان يتم فيها البحث عن حجر الفلاسفة.[107]

والسيميائي يبدو في الرواية بوصفه معلماً للشاب وهو ما حدث مع (باولو) نفسه، حيث بعد رحلة طويلة مضنية وتائهة في البحث عن حقيقة السيمياء قابل عام 1981 (رام) Ram معلمه الذي يقول عنه: "أعادني إلى الطريق الذي من المقدر أن أسلكه". وقد علمه معنى الأسطورة الذاتية والعلامات وغيرها.[108] ويبدو السيميائي مثل المرشد في الطرق الصوفية إذ "لابد لكل من أراد سلوك الطريق من شيخ يدله عليه ويرشده إليه، يضع له العلامات وينبهه إلى المزالق والمخاطر، يستمع إلى أقواله ويتلقى من أحواله".[109]

ويصوّر السيميائي انتقال علم السيمياء عن طريق السماع من المعلم، وهو ما يكون في التصوف إذ "لابد من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا عن طريق الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه، وهكذا".[110] ويرى أحمد بن عجيبة صاحب الطريقة الدرقاوية الصوفية المغربية (1809م) ضرورة وجود الشيخ أو المعلم نظراً إلى صعوبة الطريق فهو وعر ومليء بالمخاطر والأوهام.[111]

وقد بدأت في الواحة مرحلة جديدة مرَّ بها الشاب، إنها مرحلة الإيمان العميق الذي يبدد المخاوف وذلك جراء تأمله في الصحراء والتزامه الصمت في الفترات السابقة، لقد فكر: "إن الرب هو الذي وضع العلامات على طريقي". ويصل الشاب إلى حد الشفافية، والحدس يعد مرحلة من التأمل والمجاهدة في الرحلة فيرى رؤيا منامية خاطفة عن حرب وشيكة في الواحة. يقول لسان الدين بن الخطيب: "وقد يصل المستعمل لطريقة السيمياء إلى التجرد عن الجسمية والانسلاخ عنها وترد عليه الأنوار والواردات".[112]

وعندما حدّث بما رأى اتهمه البعض بأنه من العرافين الذين يخشاهم الناس "فالمستقبل بيد الله سبحانه، وأياً كان ما قدره فهو لخير البشر". والعرّاف يقول شيئاً صحيحاً وآخر كاذباً، وذلك مصداقاً لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة: قلت يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثوننا بالشئ فنجده حقاً. قال: "تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فها مائة كذبة".[113]

وقد لاحظ (جان لوتي) خلال رحلته إلى مصر أن الإيمان بالمعجزات يشغل جزءاً كبيراً من ذهن الشعب، لكن كثرة استخدام هذا المفهوم جعله يدخل في نطاق الخرافات، والتنجيم، والسحر.[114] ويرى حسين محمد فهيم أن دراسة

موضوع الكرامات لدى شعب معين يساعدنا على كشف بعض جوانب نظام الفكر السائد فيه في فترة زمنية محددة، والتعرف على ما له من إسقاطات في التراث الشعبي السائد في ذلك البلد.[115]

واختيار (باولو) للبيئة البدوية في مصر ينم عن ذكاء المؤلف حيث ربط بين طبيعة البدو، وطبيعة التصوف والسيمياء، والرحلة لاكتشاف الذات التي تتطلب كثيراً من الصبر والعناء. فالبدو "قوم بالغوا القناعة، إذ تكفيهم بضع بلحات وحفنة من القمح أو الشعير غذاء ليوم كامل، وهم بسطاء يصبرون على فترات من الصيام طويلة وعلى حرارة الجو، ويتحملون العطش لأيامٍ بأكملها".[116]

كما أنهم يؤمنون بالخرافات والتعاويذ والتمائم، وبالأخص التعاويذ المصرية القديمة، يقول (دي. بوا. إيميه): "هل ينبغي لمثل هذه الأمور أن تثير سخريتنا، بينما نحن برغم كل حضارتنا ما زلنا أسرى لخرافات مشابهة".[117]

ومن الأخطاء التي وقع فيها المؤلف الربط بين الشاب (سانتياجو) وسيدنا (يوسف) عليه السلام، يقول: "كان اسمه يوسف، وكان مثلك أجنبياً غريباً في أرضٍ غريبة"، وهي مصر.

والسيميائي يخضع الشاب لاختبارات في الصحراء كي يتأكد من استحقاقه الكنز.

وفي الصحراء يدرك السيميائي مكان ثعبان من نوع (الكوبرا) ويسيطر عليه، وهي طريقة معروفة لبعض الطرق الصوفية (الرفاعية) وهم طائفة ينتمون إلى طريقة السيد أحمد الرفاعي في مصر ورياتهم سوداء اللون، وهم متخصصون في اكتشاف أوكار الثعابين والتخلص منها.[118]

ويشرح السيميائي للشاب مفهوم الحياة الآخرة، يقول: "فهم الحكماء أن هذا العالم ما هو إلا صورة وذكرى للجنة. إن مجرد وجود هذا العالم هو ضمان لوجود عالم أرقى منه".[119] إن (باولو) نفسه يقول: "إنني مؤمن بالحياة بعد الموت".[120]

يقول له السيميائي: "يكفي أن تتامل ذرة واحدة من الرمل وستكتشف فيها كل عجائب الخلق". وفي مقابلة أجراها (باولو) مع صحفية فرنسية هي (لورا شاهين) تكتب لموقع إلكتروني هو: www.beliefnet.com وهو متخصص في الديانات المتعددة، يقول لها: "إن قدرة الله تظهر ــ كما يقول ويليام بليك ــ في حبة رمل، في زهرة، وكل شئ له روح خاصة به".[121]

وتحت عنوان: "هل تستطيع التعرف على الكون من حبة ملح؟" كتب كارل ساجان[122]: "العدد الإجمالي لكل المعلومات التي يحتفظ بها المخ لا يزيد عن 10 14 أي 100 تريليون، غير أن هذا العدد لا يمثل إلا واحد بالمائة من عدد الذرات

الموجودة في حبة الملح، وعلى هذا فالكون صعب المنال ومنيع لدرجة مدهشة ضد أية محاولات يقوم بها المخ لفهمه فهماً كاملاً، وفي هذا الصدد فإن كنا عاجزين عن فهم ذرة ملح فما بالك بالكون".[123]

كما يقول: "عندما تتعمق إلى قلب الأشياء مهما كانت صغيرة، ورقة شجر مثلاً فسوف ينتابك شعور بالابتهاج قد لا يتمتع به إلا الجنس البشري من بين كل الأجناس الأخرى ..... فالمخ يشبه العضلة، وعندما نفكر جيداً نشعر بالارتياح والفهم".[124]

وتأتي مرحلة جديدة وهي التأمل الروحاني أو "الإصغاء إلى القلب"، وتكاد تكون العبارات قريبة من الصوفيين: "كل لحظة بحث هي لحظة اقتراب". وهو من الأسس التي تقوم عليها مدرسة الكشف في الصوفية، إذ لا تكتفي بالمنطق العقلي بل ترى أن المرء يتطور بالرياضة النفسية حتى تتكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطقية في نفسه تتراءى في مرآة القلب.[125] كما يقوم السيميائي بدور الطبيب الروحاني في الصوفية وهو الشيخ العارف بآفات القلوب، وكيفية اعتدالها والإرشاد إلى ذلك.[126] ويشير ابن عجيبة إلى أن التجربة الصوفية تخلية وتحلية، فهي تخلية للنفس وتطهير لها عن أدران الدنيا، وهو يقسم الأمر إلى ثلاثة أقسام: عيوب النفس ــ عيوب القلب ــ عيوب الروح.[127] وبالكتاب بعض الأخطاء مثل قول المؤلف في (ص124): "ليس صحيحاً أن خير عصور المسلمين هو عصر النبوة والتابعين فحسب"، وذلك للحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

وتتردد في الرواية فكرة الوحدة حيث فكَّر الشاب وقال: "كل الأشياء شئ واحد". وهي فكرة منتشرة في الصوفية حيث مدرسة وحدة الوجود التي تقوم على أفكارٍ متطرفة بعض الشيء[128]، ويبدو تفكير الشاب مزيجاً من المدرستين الصوفيتين: الكشف والوحدة.

والاختيار الحقيقي للشاب كان في أن يحوّل نفسه إلى ريح، وظل الشاب يتأمل لمدة ثلاثة أيام حيث تعلَّم وجود آيات الله في الإنسان والكائنات الأخرى، قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد".[129]

ويدور حوار فانتازي غرائبي بين الشاب والصحراء يتحدث عن سنة العالم في التحوّل من النبات، إلى الصيد، إلى الصقر، إلى الإنسان الذي يعود إلى الرمال مرة أخرى. ولقد فهم الشاب أن الغرض من السيمياء هو فهم أن الحياة مراحل وتحوّل، وأنه يجب أن تكون لنا روح شفافة ومخلصة كي نسمو ونعلو،

وهكذا فهم الشاب الغاية من وجوده، والعمل الذي ينبغي أن يفعله، إن حصوله على الكنز وعودته إلى (فاطمة) واجب عليه، فالسيمياء هي التطور والصيرورة في الحياة من حالٍ إلى حال.

والحياة نفسها عبارة عن رحلة يمر فيها الإنسان باختبارات تصهره كما يحدث في عملية السيمياء من صهر للمعادن كي تتحول ذهباً. يقول (باولو): "إنني أنظر إلى الحياة مستخدماً مجاز الرحلة"[130]، وتقول (مريم فاي): "إننا خلال الرحلة نرى آيات الله العظيمة في أنفسنا وفي الكون".[131]

كما أن الكتابة نفسها ــ كما يراها (باولو) ــ رحلة تحوّل فكل كتاب أو رواية لديه يمرّ بمراحل شديدة الخصوصية. يقول عن رواية السيميائي: "ما هذه الطريق الطويلة التي قطعتها منذ ذلك الحين؟ كلمات ..... أفكار ..... ذكريات ..... حجارة الطريق وأنا أجالس هذه الصفحة المطبوعة".[132] والرحلة "ليست هي حكاية الرحلة، وإذا كانت علامات الطريق واضحة في الرحلة الأولى فإن علامات طريق الحكاية منعدمة ..... الحكاية لا دليل لها إلا صاحبها، حكاية الرحلة نابعة من أرضٍ بكر أرضها مزروعة بالخيال الحقيقي".[133] كما أن القراءة عملية رحلة داخل كتاب: إن الشاب يتحاور مع الصحراء، والريح، والشمس في محاولة من المؤلف لإظهار قدرات وخوارق مثل الصوفيين حينما يرتقون بأنفسهم ويشعرون بالسمو: يقول ساجان: "في ظل ظروف من الانجذاب الديني أو التنويم المغناطيسي يؤكد أناس أنهم يحسون بأنهم يخطون خارج أجسادهم ويسبحون في الهواء".[134] ولكنه يؤكد أن الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شئ حيث تعجز كل الكائنات عن مساعدة الشاب في التحول إلى ريح، فيتوجه بإخلاص إلى خالقه سبحانه وتعالى طالباً للنجاة "توجه الشاب بقلبه إلى الله فغمرته موجة من الحب، وبدأ يصلي، كانت صلاة لم يعرفها قط، لأنها صلاة دون كلمات، ولم يطلب بها شيئاً".[135] وهنا يبدو المشهد مطابقاً لتأملات الصوفيين ومناجاتهم في خلواتهم الدينية. وهكذا أدرك أن "يد القدرة هي التي جعلت لكل شيء سبباً وهي وحدها التي تصنع المعجزات".[136]

وهكذا "فقد خضع الشاب لمجد الله سبحانه"، ويبدو إيمان (باولو) عميقاً، فهو يقول: "هناك أسئلة في حياتي لا أعلمها، لقد توقفت عن التساؤل ..... أحترم حقيقة أن هناك بعض الأسئلة دون إجابات".[137] ويؤكد عالم الفضاء ساجان أن "الاعتراف بوجود قيود على ما يستطيع البشر فهمه لا يدفعنا فقط إلى التحلي بشئ من التواضع بل أيضاً يجعل العالم معروفاً بطريقة أحسن".[138]

إن ما يميز علم الشاب (سانتياجو) هو الروحانية والإيمان، وهو ما يزيد هذا العلم عمقاً، بينما يفتقد (فريد) في رواية بهاء طاهر لذلك اليقين رغم أنه مسلم، وطبيب،

وعالم. إن والده (الشيخ عبد الله) يقول له: "سلِّم أمرك تعد السكينة إلى قلبك".[139]

إن المؤلف يصوّر البطل عالماً متميزاً وباحثاً له مستقبل مشرق لكنه غير مستقر نفسياً بعد حادثة جنون خطيبته الفرنسية (مارتين). وحين يسأله زميله حشمت عما يشكو منه، يشير (فريد) إلى صدره، فيظن حشمت أن المشكلة تتعلق بغياب مارتين، لكن البطل يؤكد: لا.

إنه يشكو من قلق نفسي حاد ويبحث عن السلام الداخلي واليقين فلا يجده، فيذهب في رحلة عبر الصحراء علها تعيد إليه صفاءه وإيمانه الحقيقي. وأثناء الرحلة يبدأ (فريد) مراحل من التأمل، والصلاة، والبكاء. "في الصحراء كان (فريد) يصلي كثيراً في الغروب، ويبكي وحيداً في الليل". وذلك ما حدث مع (سانتياجو)، لكن الفرق أن الشاب الإسباني تدرّج في مراحل تأمله وارتفع إلى درجة من اليقين والإيمان العميق بحيث أدرك معنى عظمة الله وقدرته سبحانه وتعالى التي لا تصل إليها الأفهام والمدارك، كما استوعب معنى وجود الحياة الآخرة بعد الموت، ووجود الجنة والنار، ووظيفة الإنسان في الحياة التي أمره الله بها، وهي العمل، والاستخلاف في الأرض من أجل تقدم الإنسانية، قال تعالى: "تبارك الذي بيده الملك، وهو على كل شئ قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وهو العزيز الغفور".[140]

بينما ما حدث مع (فريد) هو العكس تماماً إذ نجده على مدار القصة يتدرج من القلق والشك غير المبرر في البداية إلى التأمل الذي يصاحبه تساؤل وتردد، فهو لا يعرف هدفه من الرحلة فيخاطب في ذهنه مارتين: لم جئتِ بي إلى هنا؟ كما يقول المؤلف: "لم يكن فريد نفسه يعرف الآن سبب إصراره على الرحلة".[141] إذ يُظهر المؤلف الرحلة بوصفها نوعاً من الانجذاب الغريب "فالسفر نداء". ومع استمرار الرحلة يزداد (فريد) وجوماً وصمتاً، يقول المؤلف: "أصبح فريد الآن قاسياً" لا يبالي بمن حوله بحيث يتركه مرافقوه لكنه يستمر ويصر على المضي قدماً في الرحلة المجهولة نحو المعبد المهجور. قال الدكتور (فريد) في حسمٍ: "أنا باقٍ هنا"، لكن هذا الحسم يتنافى منطقياً مع عدم وجود الهدف من البقاء، أو وضوحه. فهو لا يبحث عن شيء محدد مثل (سانتياجو). مع ملاحظة أنه وحيد فليس معه مرشد أو معلم، مع العلم بأن (باولو) يؤكد مسئولية الإنسان عن أفعاله، يقول: "لا ينبغي للإنسان أن يعتمد على القديس، أو الملا (الفقيه المسلم)، أو الحبر (الحاخام عند اليهود) حتى يكون مسئولاً عن أفعاله".[142] وهو ما ذكره هاملتون جب من انحراف الطرق الصوفية بحيث طغت فيها تبعية المريدين للشيخ على الأصول الصوفية الحقة.[143]

وهو شخصية متشائمة، وغريبة الأطوار إذ فضّل الجلوس في الظلام وحيداً وأطفأ الشمعة الوحيدة المتبقية دون مبرر معقول، وترك جمله يهرب وهو

وسيلته الوحيدة للانتقال في الصحراء. وذلك عكس (سانتياجو) المتفائل على مدار الرواية، بل يستغل الأحداث السيئة ويحوّلها إلى إيجابيات في حياته. وحين ضاعت أمواله في المغرب اختار أن يكون مغامراً ينطلق من جديد.

ويصوّر المؤلف محاولات (فريد) لترجمة النقوش المحفورة على جدران المعبد يوماً بعد يوم، ويقول: "مشى بعينيه على الطلاسم التي لم يفهمها"[144]، وكأن قراءة النقوش رحلة أخرى داخل الرحلة الأم، إنها رحلة للفهم والترجمة.

ويأتي الحلم في القصة على نحوٍ غامض "جاءته مارتين وكان وجهها أسود، كانت تشكو من عينيها، قالت له تنبت فيهما زهور"، وذلك دليل سوء.

ويستطيع (فريد) ترجمة السطور المحفورة فإذا بالقارئ أمام كلام غريب، حوار يبدو مشابهاً للحوار الصوفي في مدرسة الإتحاد والحلول: "أنت النور وأنا صدى النور ..... وأنقض على الصخر سري، إني حزين". وهو حوار بعيد تماماً عن مظاهر التصوف الإسلامي الذي هو في حقيقته "تربية عملية للنفوس وعلاج لأمراض القلوب، وغرس للفضائل، وتدريب على الصبر والرضا".[145] "إن أصعب ما في كتابة بهاء طاهر هذه الطريقة في إحكام العلاقة بين الواقعي، والرمزي، والوجودي بعيداً عن التجريد".[146] ويقترب المؤلف في ذلك الحوار من مدرسة الإتحاد والحلول عند الصوفية والتي تزعمها (الحلاج)، وهي متأثرة بالتصوف الهندي والنصراني، وتلك "لوثة عقلية أصيب بها كثير من الفلاسفة قديماً، وأصابت بعض المسلمين".[147] لقد كان "التصوف المنحرف باباً كبيراً دخلت منه كثير من الشرور على المسلمين مثل: السلبية، والتواكل، فضلاً عن كثيرٍ من الضلالات".[148]

لذا نجد البطل يُقدم على الانتحار في النهاية، إنه شخصية سلبية ومتشككة إلى أبعد حد، وتكاد لا تحمل في طياتها روح العقيدة الإسلامية التي تهدف إلى السكينة، والطمأنينة، والثقة بالله، والإيمان بالقضاء والقدر.

ورغم ذلك يصر المؤلف على إنقاذ البطل من الموت، وحينها يتم الربط الذهني بين ما قاله له زميله حشمت في بدايات القصة: "لم يأتني الموت عندما سعيت إليه"، قال (فريد): "لكن ماذا تعلمت؟"، قال حشمت: "هل من الضروري أن أكون قد تعلمت شيئاً؟ عدت هذا كل ما حدث".[149]

إن المؤلف لا يوضح الغاية المستفادة من الرحلة، إن مجرد الارتحال، والعودة هدف عنده في حد ذاته، لكني لا أتفق معه في تعليقه على رواية السيميائي: "حدوتة بسيطة لا تصنع سحرها الأحداث، ولا حتى الأفكار، ولكن من يدخل عالمها سيجد أن الرحلة نفسها هي المنتهى"، وليس الأمر كذلك، إنها سيرة

ذاتية للمؤلف نفسه، وهي رحلته في بحثه عن ذاته، وهدفه، وكنزه الحقيقي في أن يكون كاتباً في يوم من الأيام رغم أنه لم يتوقع أن ينجح بذلك الشكل المبهر. وفي روايته هدف واضح من بداية الرحلة، وتطور إيماني حدث للبطل وهو ما حدث لـــ (باولو) نفسه، لكنه لم يحدث لـــ (فريد) في القصة، بل انتهت رحلته، ولم يدرك شيئاً، ولم يغير شيئاً في عقله وروحه.

إن قراءة رواية (باولو) تعطي انطباعاً تفاؤلياً، وشعوراً بالراحة، والبهجة عند الانتهاء منها يدفع القارئ إلى التفاؤل والتقدم. إنها محاولة كل إنسان لتصحيح المسار. ولقد أثرت الرواية بالفعل في قراء كثيرين على مستوى العالم لازالوا يكتبون للمؤلف عن ذلك الأثر العجيب (لكتاب في حياة إنسان). مثلاً نجد حواراً بين (باولا غوميز) طالبة هندسة معمارية إسبانية، و(ماريا) طالبة تربية، و(أنا) طالبة علم نفس مع المؤلف حول ذلك الأثر الذي تركته رواية السيميائي فيهن.[150] وذلك عكس قصة بهاء طاهر التي تمتلئ بالغموض والشك والحزن، وتترك انطباعاً لدى القارئ بالوحدة، والظلام، والتشاؤم.

المرأة والحب

تمثل المرأة عنصراً مهماً في العملين الأدبيين موضوع المقارنة، ففي رواية السيميائي نجد البطل يعلم أن المرأة وحدها قادرة على منعه من الرحلة، فيقول في بداية الرواية: "إن الرعاة شأن البحارة أو السماسرة الجائلين يعرفون دائماً مدينة تعيش فيها من تنسيهم متعة السياحة في العالم دون قيد على حريتهم".(151)

وتتعدد علاقاته بالمرأة في زوايا ثلاث، بدءاً بابنة التاجر التي يصفها: "كانت فتاة تتجسد فيها السمات الأندلسية، شعرها طويل، وعيناها تذكران على نحو غامضٍ بالفاتحين المغاربة القدامى". فعلاقات النسب بين المسلمين والنصارى في إسبانيا تركت آثارها في ملامح الشعب الإسباني حتى الآن.

وتبدو علاقة الشاب بالفتاة مجرد إعجاب، فهو يعلل سعادته بمعرفتها بقوله: "لأنه لم يعد مرغما على أن يحدث أغنامه طول الوقت". والفتاة منبهرة بثقافته: "استمر يحكي قصصاً عن رحلاته، وظلت العينان المغربيتان الصغيرتان تتسعان إلى أبعد مدى تحت تأثير الدهشة".(152)

والمرأة الثانية في الرواية هي (عجوز) من الغجر إسبانية تتقن تفسير الأحلام وقراءة الكف، وعلاقة البطل بها خوف وحذر: "عندما كان الراعي طفلاً عاش رعباً دائماً من فكرة أن يختطفه الغجر، وقد عاوده ذلك الخوف القديم، بينما كانت العجوز تمسك يده". وهي ذكية فهي تطلب منه أن يعطيها عشر الكنز حين يحصل عليه ثمناً لتفسيرها حلمه، فيقول: "ما أشد دهاء الغجر، ربما لأنهم يرتحلون كثيراً".

والمرأة الثالثة هي (فاطمة) الفتاة البدوية التي أحبها الشاب من أول نظرة، "أدرك عندما رأى عينيها السوداوين، أعمق جزء وأحكمه من اللغة التي يتكلمها العالم ..... اسمه الحب، شيء أعمق من البشر ومن الصحراء".(153)

إن (فاطمة) تجسيد للحب بالنسبة لـــ (سانتياجو)، وهو كنز قيم في نظره "طال انتظاره له، وظل يبحث عنه في الكتب، وعند الشياه، وفي صمت الصحراء". ويبدأ المؤلف في وصف فلسفة البطل عن الحب، فعلى الإنسان "أن يفهم أن في العالم دائماً شخصاً ينتظر الآخر، وعندما يتقابلان لا يعود للماضي ولا للمستقبل كله أي أهمية، لا تبقى سوى اللحظة الراهنة، وذلك اليقين الذي لا يتزعزع بأن كل شئ قد خطته يد القدرة الواحدة (الله)".(154)

و(فاطمة) البدوية المصرية امرأة قوية وشجاعة. ولعل المؤلف استوحى في رسم صورتها المرأة الفرعونية، فهي تدفع البطل إلى البحث عن كنزه رغم أن ذلك

سيبعده عنها، "أنا لا أخشى شيئاً فأنا جزء من حلمك ..... إن كثبان الرمال تتغير بفعل الرياح، ولكن الصحراء تظل دائماً هي الصحراء، وهكذا سيكون حبنا". إنها تستمد قوتها من الصحراء، ولديها يقين بأن كل شئ مقدّر بيد الله سبحانه وتعالى.

ويذكر محمد تاج، ووائل غالي في كتابهما (صورة المرأة في تاريخ الفنون) أن الفنان المصري القديم كان يصوّر المرأة الفرعونية مفعمة بالحياة، وعاقلة، وذات كبرياء، وكرامة "ولم يكن هذا الاحترام صادراً عن تزمت أو جمود، فلقد عرف المصريون القدماء الحب ولم يخجلوا من التعبير عنه".[155]

ويختلف تصوير (باولو) للمرأة العربية عن تصوير بعض المؤلفين الغربيين لها. وقد اشتهر عنهم وصفها بأنها "دمية حلوة الملامح مسلوبة الإرادة"[156]، وخاصة خلال القرن الثامن عشر، والتاسع عشر. ومن أشهر فناني الغرب في ذلك: رامبرانت، هنري ماتيس، وغيرهما.

وقد أظهر (باولو) تأثير البيئة الصحراوية على (فاطمة)، فهي تقول: "أنا امرأة صحراوية، وأنا فخورة بذلك، أريد لرجلي أن يمضي طليقاً مثل الرياح".

إذن فالعنصر الأنثوي البارز في الرواية (فاطمة) يجمع بين صفات المرأة الفرعونية، والبدوية، وفي النهاية المرأة المصرية. وهكذا نجد أن مفهوم البطل عن الحب يتطور خلال الرحلة، فيسمو ويرتفع، ويصبح قوة دافعة إلى الأمام.

وتختلف (فاطمة) العربية عن ابنة التاجر الإسبانية. لقد كان معجباً بإحساس الدهشة الذي خلفه لدى ابنة التاجر كلما قصَّ عليها رحلاته، بينما أدرك مع (فاطمة) معنى الحب الحقيقي، كما أدرك كيف تكون المرأة قوية واثقة، ومستقلة.

ونلاحظ أن المؤلف عندما بدأ يصف خيمة زعيم القبيلة ــ بما يشبه أجواء ألف ليلة وليلة ــ لم يتطرق إلى وصف (الحريم) كما كان يفعل العديد من الأدباء الغربيين في وصف الجواري العربية، وما في ذلك من مبالغات.

والحب عنده يسمو بالمشاعر، لذلك نجد أن الجانب الجسدي لا يشكل فيه إلا قدراً ضئيلاً، فعند وداعهما "تعانقا، وكانت هذه أول مرة يتلامس فيها جسداهما".

ورغم قوة فاطمة فهي تبكي عند وداع البطل، وتقول: "أنا امرأة صحراوية لكني امرأة قبل كل شئ". والحب يمكن أن يغيّر إحساس الإنسان بالمكان، إن فاطمة تقول: "لن يكون للواحة معناها نفسه الذي كان لها قبل وقتٍ قصير، فالفتى لم يعد في الواحة".

إن التأويل الموضوعي للمكان يستمد آلياته من شاغلي المكان نفسه وكيفية توظيفهم لأبعاده.[156]

ويصل الشاب في فهمه للحب إلى أنه تضحية وقابلية للبناء والتغيير: "إننا عندما نحب نود دائماً أن نصبح أفضل مما نحن عليه".[157] ولذا يعود البطل إلى فاطمة بعد أن يجد كنزه.

وتبدو المرأة الفرنسية في رواية بهاء طاهر صورة للمرأة الغربية المفعمة بالحيوية. ويصف رفاعة الطهطاوي المرأة الفرنسية فيرى أن "من مميزات نساء باريس أنهن متولعات بحب المعارف، والوقوف على أسرار الكائنات والبحث عنها".[158]

وقد بدأ المؤلف القصة بطريقة الفلاش باك عارضاً علاقة البطل الشرقي بالمرأة الغربية في صورة مباشرة وتقريرية: "عندما تخرج فريد من جامعة جرينوبل في سنة 1924 كان يحب مارتين طالبة الآداب هناك وتعاهدا على الزواج".[159]

ويوضح المؤلف العادات والتقاليد الشرقية، فالوالد (الشيخ عبد الله) لم يرحب بزواج ابنه من فرنسية، لكنه اقتنع عندما رأى "وجهها البريء كالطفلة" فأسرته رقتها ووافق على الزواج. ولذلك لا أتفق مع عبد الفتاح عثمان الذي يرى أن توظيف المرأة الغربية في الرواية العربية رمزاً للصراع بين حضارة الأنا والآخر دائماً ينتهي نهاية مأساوية فهو "نتيجة طبيعية لانعدام الفهم المشترك واستحالة التجانس الاجتماعي".[160]

لكن العلاقة تبدو بعد ذلك غريبة، فقد سافرت مارتين مخطوبة لكنهما لم يتزوجا. ويوضح المؤلف خلال القصة وبالتدريج السبب في منع الزواج، فقد أصيبت بمرضٍ عقلي.

ويبدو قول المؤلف: "ورغم ذلك ظل الدكتور فريد يسافر كل سنة إلى فرنسا شهراً على الأقل لكي يرى مارتين ورفض أن يسمع أي حديث عن زواج آخر"[161] غير منطقي.

والمرأة تأتي في الرواية بوصفها أماً. إن حشمت زميل فريد يحكي له عن تجربته الحزينة في علاقته بوالدته التي توفيت مريضة، وهو استطراد لا ضرورة له، وغير متناسق مع أحداث الرواية وكأنه دخيل عليها. كما أن تعبيره عن الموت بقوله: "عشوائية الموت" غير سليم، فالموت في العقيدة الإسلامية قضاء وقدر. وقد عبَّر عنه باولو في روايته بشكلٍ لائق.

والبطل يتساءل عن سبب رحلته، يقول المؤلف: "هل كان قد خرج ليهرب من مارتين أم ليبحث عنها؟". وتطرق المؤلف إلى وصف ماتين، والحب الذي بينها

وبين البطل، والذي يختلف عن حب سانتياجو لفاطمة. إن فريد يبدو أكثر جرأة من سانتياجو في مفهومه عن الحب.

ويناقش المؤلف قضية الحاجز النفسي بين المصري والأجنبية فهو يقول: "أخشى إن جئت معي إلى مصر أن تشتاقي للعودة". وأثناء الرحلة يتخيل فريد وجه مارتين "في الصحراء كان وجه مارتين في كل مكانٍ"، "وفي الصحراء أيضاً كان سانتياجو يرى ويسمع فاطمة عبر الرياح".

إن فريد يستدعي ــ في الصحراء ــ ذكرياته مع مارتين حيث استخدم المؤلف ظاهرة التداعي (الفلاش باك) حيث ينتقل وعي الشخصية عبر المكان والزمان لربط الحاضر بالماضي في بؤرة شعورية واحدة، وفي ذلك نوعٌ من المقارنة بينهما. والشخصية بذلك تستعين على مواجهة الحاضر باستدعاء الماضي.[162]

إن فاطمة تختلف عن مارتين، فالأولى قوية واثقة مستقلة، بينما الثانية ضعيفة متشككة.

اللغة والترجمة

تمثل اللغة عنصراً مهماً من عناصر الرواية، فالرواية كتبت باللغة البرتغالية، ثم ترجمت إلى لغات العالم، ولولا عملية الترجمة لظل الحاجز اللغوي يمنع أفكار باولو كويلو من الوصول إلينا.

وهذا ما حدث مع سانتاجو إذ أن اللغة العربية وقفت حاجزاً بينه وبين فهم حديث الناس حين ارتحل إلى المغرب. "إنه في عجلة الرحيل الكبير نسى أحد التفصيلات، تفصيل صغير جداً يمكن أن يحول بينه وبين كنزه لفترة طويلة، وهو أن كل الناس في هذا البلد يتكلمون العربية".[163]

وبسبب الحاجز اللغوي فهو لم يفهم نصيحة صاحب المقهى بألا يرافقه الشاب العربي الذي يتحدث الإسبانية لأنه سرقه بعد ذلك. لكن الرواية تظهر أن المغرب لقربها من إسبانيا فإن الناس يتحدثون الإسبانية "هنا يتكلم كل الناس تقريباً الإسبانية، نحن على مبعدة بضع ساعات لا غير من إسبانيا".[164] وبعد انقضاء فترة في (طنجة) تعلَّم الشاب اللغة العربية "كانا يتبادلان الحديث بالعربية، وشعر الشاب بالرضا عن نفسه لأنه يتحدث العربية".[165]

وتتحدث الرواية عن اللغة العالمية دون حديث وهي لغة العلامات: "كل شئ في الحياة علامة. العالم كله تشمله لغة واحدة يستطيع كل الناس فهمها لكنهم نسوها. وأنا أبحث عن هذه اللغة العالمية". إن فهم تلك اللغة كنز يستحقه الباحثون والرحالة.

ويحدد باولو نوع روايته قائلاً: "إن رواية السيميائي رمزية، وفي سياق الكتاب رويت وحكيت كل ما تعلمته، وحاولت رد الجميل والوفاء لكتّابٍ عظماء حققوا الكتابة باللغة العالمية مثل: هيمنجواي، بلايك، بورخس .....".[166]

ونلاحظ سمة التكرار في أسلوب المؤلف، فهو يكرّر بعض العبارات ليؤكد على معنى معين مثل أن اللغة علامة.

وهناك أيضاً لغة الحدس وهي "غوص سريع للروح في تيار الحياة الكوني الذي يترابط في طياته تاريخ البشر ..... بحيث يبدو كل شئ مدون".[167]

والسيمياء في حد ذاتها لغة يمكن عن طريقها فهم علاقة الأشياء بعضها ببعض ــ كما يرى المؤلف ــ "إنها اللغة التي تتواصل عن طريقها الأشياء فيما بينها".[168] وهي لغة صعبة، يقول الشاب: "لماذا يستخدمون لغة تصعب على الفهم إلى هذا الحد" فهي مليئة بالرسوم، والطلاسم، والنصوص الغامضة، وهي تكاد تشبه في ذلك اللغة الهيروغليفية في قصة بهاء طاهر، فهي عبارة أيضاً عن رسوم ونقوش غامضة لا يفهمها إلا المتخصصون.

وفي الرواية اسماء عربية وإسلامية مثل: (إبراهيم)، و(حسن) تاجر الكريستال الغني، وربما يكون المؤلف قد استوحاه من قصة أحد المتصوفة التي ذكرها في مقدمة ترجمة الخيميائي يقول: "لقد كانت الثقافة العربية إلى جانبي معظم أيام حياتي تبين لي أموراً لم يستطع العالم الذي أعيش فيه أن يفقه معناها".[169]

وفاطمة وهي الفتاة التي أحبها في الواحة، وللاسم دلالة إيمانية عميقة يوضحها المؤلف، إذ تقول الفتاة: "هو اسم ابنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم".[170] وقد انتقل هذا الاسم إلى إسبانيا عن طريق الاتصال بين البلدين. كذلك اسماء البلاد العربية مثل: مكة، المغرب، مصر، كل ذلك دليل معرفة باولو بالثقافة العربية والإسلامية معرفة وثيقة.

واسم البطل (سانتياجو) اقتبسه المؤلف من بطل قصة همنجواي (العجوز والبحر).[171] كما أنه اسم الموضع الذي قام بالحج إليه (سانتياجو دي كومبوستيلا) حين بدأ رحلة المعرفة والبحث عن ذاته.

ويتكرر في الرواية كثيراً فعل "أدرك" وذلك دليل اتساع مدارك الشاب وتعلمه عبر الرحلة. ومن اللغات التي يتحدث بها العالم (لغة الحب) وهي التي "يمكن لكل المخلوقات على سطح الأرض أن تصغي إليها بقلبها".[172]

ويوضح المؤلف أن للعربية لهجات متعددة خاصة عند العرب البدو، يقول: "كانوا يتكلمون العربية بلهجة لا يفهمها الشاب". وهي نفس العبارة التي عند

بهاء طاهر: "يقول شدوان لهم أشياء بلهجتهم التي لم يكن فريد يفهمها جيداً".[173]

وهناك لغة تدور بين الإنسان وقلبه، يقول المؤلف: "قال له قلبه: إن كل إنسان سعيد هو إنسان يسكن الله قلبه".[174] وعلى مدار عدة صفحات يدور حوار فانتازي بين الشاب وبين الصحراء، والريح، والشمس، وهو قائم على أساس ما يسمى (لغة الروح)، والتي كان الهدف منها أنه عندما يريد الإنسان شيئاً بقوة فإن العوامل الكونية تساعده إذا صدق في طلبه وسؤاله لله عز وجل.

لغة الجسد:

توضح الرواية أهمية لغة الجسد، حيث تبدو بعض أجزاء الجسم معبرة عن معانٍ محددة دون حديث. فمثلاً نجد أن سانتياجو يقابل في المغرب بائعاً للحلوى سمح الوجه ابتسم له ابتسامة شجعته على مساعدته في العمل، لذلك يقول: "إن شخصين هما اللذان نصبا المنصة، أحدهما كان يتكلم العربية والآخر الإسبانية متفاهمين تماماً، وقال لنفسه: هناك لغة تتجاوز الكلمات".[175]

وحينما علم أن بين المغرب والأهرام آلاف الكيلومترات وأن كنزه بعيد جداً "بدا وكأن الخرس أصاب العالم كله لأن روح الفتى لزمت الصمت. لم يكن هناك سوى نظرة خاوية عبر باب المقصف الصغير". إن العين من أكثر أعضاء الجسم دلالة وتعبيراً عن المعنى، فهي تنقل للشخص الآخر معنىً محدداً، حين ابتسمت فاطمة ولمعت عيناها كانت تلك علامة على قبولها الزواج من البطل: "هي العلامة التي طال انتظاره لها عبر حياته".

يقول السيميائي: "إن العين تبدي قوة الروح".[176] وذلك أن الإنسان حين ينظر في عيني محدثه مباشرة وبجدية فإنه يقنعه برأيه أو على الأقل يجعله يفكر فيه. وحين أحاط بهم المحاربون البدو "كانت الأعين تظهر قوة الروح وكانت تلك الأعين تحدث عن الموت". إن التحديق في العينين مباشرة يثير الخوف والقلق.[177] وقد نظر السيميائي مباشرة في عيون محاربيه مما أثار ريبتهم "ويمكن التعامل مع الشخصية المتسلطة من خلال النظر بثبات إلى المنطقة المثلثية في الوجه وهي العينين والجبهة، فهذه النظرة تعطي انطباعاً بجدية الموقف".[178]

أما قصة بهاء طاهر فأول ما يلفت انتباه القارئ هو العنوان: (أنا الملك جئت). إنه عنوان غامض وغير مألوف، وكان من الممكن أن يختار المؤلف عنواناً آخر يدل على فحوى القصة، بينما جاء عنوان رواية السيميائي معبّراً عما يريده المؤلف في روايته.

إن من أهم شروط العنوان أن يتوافق مع معنى العمل الأدبي، لكن عنوان

قصة بهاء طاهر لم يكن كذلك. إن "عنونة النص الأدبي تؤسس عيناً ذات شبكة مرتبطة بكل أسرار النص وعلاماته وتختزن مقصدية المؤلف ونواياه، كما تضمر نداء للقارئ ومرشداً له في آن".(179)

وقد جاءت اسماء الشخصيات معبّرة وذات دلالة خاصة، بداية من فريد بطل القصة الذي هو فريد في طريقة تفكيره وبارع في تخصصه. والدليل راضي الذي إشتق المؤلف اسمه من الرضا، فهو راضٍ بما يحدث له طوال القصة. وفخري باشا الذي يتفاخر دائماً بأنه رئيس جمعية أصدقاء الصحراء، وغيرها من الاسماء والدلالات.

والمؤلف يقسم القصة إلى مقاطع مرقمة عددها 28 مقطع ــ وهو عدد حروف الأبجدية العربية ــ وتتراوح بدايات المقاطع بين الجمل الفعلية والاسمية. إن "لكل أديب لغته الخاصة، وذلك بتكرار مميزات أو لازمات معينة تخصه دون غيره، فهي مثل البصمة الفيزيائية".(180) وتتميز لغة بهاء طاهر بالتكثيف والتركيز ثم بالتدقيق والسلاسة، وهو يعتمد لغة الجسد حيث تعبر أعضاء الجسد عن المعنى المراد دون كلمات. إن حركة الضابط (باتريك) حين "كان يجفف وجهه ورقبته باستمرار من عرق لا وجود له" دليل توتره وخوفه. وابتسامة الضابط (جنكنز) قائد حرس الحدود للدكتور فريد مليئة بالشك (ابتسامة مفتعلة). وترتكز الرواية على العين، إن فريد طبيب عيون بارع، وقد قرأ في عيني مارتين الحب في البداية، ثم الدهشة عند زيارتها مصر، ثم الرعب بعد رحلتها إلى المعبد المهجور. لقد نقلت إليه عينيها كل ما شعرت به. والمؤلف ــ في ذلك التصوير ــ يتشابه مع باولو في تركيزه على تعبيرات العيون بصفة خاصة. قال الدكتور فريد في حسمٍ: أنا باقٍ هنا، تطلع إليه شدوان صامتاً لكن عينيه قالتا ما يريد.

ويستخدم المؤلف تقنية التكرار، فهو يكرر بعض العبارات لأهميتها مثل: "لم يبق وقت"، وقول مارتين: "لماذا صرتُ أخشى الضوء؟"، وغيرها.

وتؤكد القصة على أهمية اللغة (الهيروغليفية) المصرية القديمة. ولهذه اللغة صلة وثيقة بالصورة واللون، إذ إن معظمها عبارة عن صور لحيوانات، أو نباتات، أو أشكال، ولها علاقة وثيقة أيضاً بالصحراء حيث النقش على الصخور، وفي جوٍ جاف.(181)

إن الأهرامات في رواية باولو عبارة عن مقابر ملكية وهي تقابل المعبد المجهول في قصة بهاء طاهر. وهناك لغة كان المصريون القدماء يكتبون بها إلى جانب الهيروغليفية هي (الهيراطيقية) وهي أبسط من الأولى في الرسم والرمز. والنسخة الأخيرة من الهيروغليفية ظهرت منذ حوالي 1600 عام. وهذا يعني أن

المصريين القدماء استخدموا الهيروغليفية لأكثر من 3000 عام، لكنهم كفّوا عن استخدامها وقت حكم الرومان لمصر، واقتصرت على المعابد والمقابر.[182]

وقد كان المصريون القدماء يحبون كتابة صلواتهم في مقابرهم، والتي كانت تردد من أجل الحصول على الأشياء التي يحتاجونها في الحياة الآخرة بعد الموت. وتكتب الهيروغليفية من اليمين إلى اليسار، ومن العكس، ويمكن كتابتها من أعلى إلى أسفل.[183] "وقد كانت الرحلات مقدسة بالنسبة للمصريين القدماء بحيث كانوا يسجلونها على الجدران". والهجائية الفرعونية بها عدد كبير من الحروف التي تسمى رموز 800 رمز. ومنذ حوالي مائتي عام تقريباً تمكن شامبليون الفرنسي من فك طلاسم حجر رشيد مستعيناً بمعرفته للغة اليونانية القديمة. ونلاحظ أن الإنجليز، والفرنسيين، والألمان يتنافسون على فك رموز الكتابات الهيروغليفية لكي يكشفوا أسرارها وينشروا نصوصها.

ونلاحظ أن ترجمة بهاء طاهر لبعض الحروف الواردة في القصة غير صحيحة. يقول: "هاتان العينان المتجاورتان تنطقان الميم في مارتن، وهذه الريشة القائمة هي الهمزة أو الألف، ونصف الدائرة العلوي هو التاء في مارتين".[184]

والترجمة الصحيحة للميم هي رسم البومة، والألف رسم النسر، أما التاء فهي صحيحة. والريشة في الهيروغليفية هي رمز الياء في العربية.[185] وهي ليست ريشة تحديداً ولكنها ورقة من نبات القصب، والذي كان يستخدم في كثير من الأغراض.[186]

والترجمة الأدبية فرع مهم من فروع الأدب المقارن، وتنقسم إلى مرحلتين: التفسير والصياغة.

وعملية التفسير في جوهرها عملية أدب مقارن لأنها تتضمن مضاهاة لا شعورية بين ما يقرؤه المترجم وما تراكم في وجدانه وعقله من تراث أدبي وثقافي.[187] ولذلك فإن صعوبة الترجمة الأدبية لا تقتصر على المستويات الدلالية للألفاظ بل تتعداها إلى إدراك السياق الثقافي لكل منها.

وإن الأديب الذي يحيل التجربة الأدبية الأجنبية إلى نظائرها العربية لا مفر له من التناص intertextuality بمعنى: "أن نصه الجديد يشترك مع نصوص اللغة التي يترجم إليها في بعض العناصر الجوهرية".[188]

وتبدو المقارنة بين الترجمات من مباحث الأدب المقارن المهمة، وللترجمة أهمية بالغة توازي أدب الرحلات حيث "يفسح الأدب المقارن المجال واسعاً لدراسة أدب الرحلات لأنها المعين الذي يمتاح منه أي شعب معلوماته عن شعبٍ آخر،

فالذين يقرأون النصوص الأجنبية في لغاتها الأصلية ــ حتى بين من يحترفون الأدب المقارن ــ يعدون قلة، أما الأغلبية فتكتفي بالترجمة أو بمذكرات الرحالة".[189] إذن فالترجمة رحلة.

إن باولو كويلو روائي برازيلي من كتاب أمريكا اللاتينية التي تضم: البرازيل، الأرجنتين، كولومبيا، المكسيك، جواتيمالا، بيرو، بنما ..... وما يزيد عن إحدى وعشرين دولة.[190] وهو يكتب باللغة البرتغالية. وقد ترجمت روايته (السيميائي) إلى معظم لغات العالم، بحيث تعد ترجمتها على وجه الخصوص ظاهرة أدبية تستحق الدراسة النقدية على نحو مستقل. لقد جاء في الموسوعة الحرة (الويكيبيديا) على الإنترنت أن الرواية ترجمت إلى 62 لغة، وباعت 30 مليون نسخة في 150 دولة.[191] "وفي عام 2002 ظهرت دراسة تؤكد أن السيميائي هي أكثر الروايات توزيعاً بهذه اللغة عبر التاريخ".[192] وهو ما يلقي الضوء على أهمية الترجمة في كسر الحاجز اللغوي لوصول الأفكار لأنها في حد ذاتها نقل للأفكار.

وقد ترجمت الرواية إلى الإنجليزية دار نشر هي Harper and Collins، ثم في الفرنسية ظلت الرواية تتصدر قائمة أكثر الكتب مبيعاً لمدة خمس سنوات، ثم لاقت النجاح نفسه في الترجمات الإيطالية والألمانية والروسية.

وقد اعتمدت في الدراسة الترجمة الإنجليزية:

The Alchemist: Translated by Alan Clarke, Harper Collins, 2002.

وفي اللغة العربية ترجمت الرواية إلى أكثر من ترجمة، وقد استطعت الحصول على أربع ترجمات للرواية:

1. **السيميائي:** ترجمة بهاء طاهر، ط3، 2005، دار الهلال.
2. **الخيميائي:** ترجمة جواد صيداوي، ط2/ 2010، شركة المطبوعات، لبنان.
3. **الخيميائي:** ترجمة خالد السيد، 2010، المجمع الثقافي المصري.
4. **الخيميائي:** ترجمة بسمة مصطفى، 2010، ط1/ 2010، دار الكتاب العربي، سوريا.

وتتميز الترجمة الإنجليزية عن الترجمات العربية بأنها تتضمن مقدمة كتبها المؤلف نفسه معلقاً على الرواية، وسيرة ذاتية (biography) عن المؤلف، بالإضافة إلى مقابلة صحفية لجريدة إلكترونية، وخريطة تمثل رحلة الراعي من الأندلس إلى الأهرامات.[193]

وترجمة بهاء طاهر صدرت عن الترجمة الفرنسية:

L Alchimiste: Paulo Coelho, Traduit du Portugais (Bresil) Edition Anne Carriere, Parise, 1994.

ويؤكد بهاء طاهر في مقدمة الترجمة أنه لا يعرف النطق الصحيح للغة البرتغالية الأصلية ولا اشتقاقها البرازيلي[194]، ولذا تحيّر بين ترجمة اسم المؤلف (كويلو) أو (كويلخو)، وهو مدرك لخطورة عملية الترجمة: "من المعلوم أن أي تلخيص لعمل أدبي هو إفساد له، لأن كل جزئية، وكل كلمة يضعها الكاتب لهما دورهما في السياق الكامل للعمل". وقد ترجم العنوان إلى السيميائي، وهو يقول: "السيميائي أو الخيميائي، فإن كلا النطقين مقبول إذ وجدتها في أحد المعاجم العربية بالسين، وفي معجم آخر بالخاء".[195]

وقد استعان المترجم في عمله ببعض أصدقائه العارفين باللغة البرتغالية. ويتميز أسلوبه في الترجمة بالسلاسة، والبساطة، وفصاحة اللغة، وانسجام التراكيب حتى لكأن القارئ يقرأ نصاً عربياً وذلك يعود إلى تمكن المترجم من الاستيعاب العميق لأفكار الكاتب الأصلي وتحويلها إلى نص مترجم. وساعد على ذلك ما يحمله نص الرواية من إستقاطات وتأثيرات ثقافية عربية وإسلامية كثيرة مثل كلمة (مكتوب) أي مقدر ومدوّن، والتي لا تصلح ترجمتها إلى لغاتٍ أخرى لما تحمله من معانٍ فلسفية عميقة. يقول بائع الكريستال للبطل: "لابد أن تكون قد ولدت عربياً لكي تفهمها".[196] إن بعض الكلمات تحمل تاريخاً دينياً أو حضارياً تختص به لغة معينة. وقد ألّف باولو رواية بهذا العنوان فيما بعد عنوانها (مكتوب). ويترجم بهاء طاهر كلمة The boy بـــ الشاب، وفي ذلك دلالة على مرحلة عمرية يكون الإنسان فيها في حالة تخبط ومحاولة اكتشاف الذات.

أما ترجمة جواد صيداوي، فقد قام بالتدقيق اللغوي لها: روحي طعمة. وقد نشرت هذه الطبعة بالاتفاق مع (سانت جوردي) في برشلونة بإسبانيا بوكالتهم مع باولو كويلو الذي يقول في المقدمة: "إني أراقب كتبي وهي تنشرها شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ لبنان في المنطقة نفسها التي كثيراً ما أثارت مخيلتي، وإنني ممتن للناشر السيد تحسين الخياط لما أبداه من حماسٍ لجعل أعمالي في متناول قراء العربية من خلال ترجمتها، ترجمة اتسمت بالجدية".[197]

والترجمة تحمل مقدمتين لـــ باولو كويلو، ونص من إنجيل لوقا، الفصل العاشر، وهو غير موجود في باقي الترجمات.

أما ترجمة خالد السيد فقد قام بالتدقيق اللغوي: مجموعة ضمة، وهي لا تحمل مقدمات، ويترجم اسم المؤلف: باولو كويليو، ويضيف نفس العنوان (ساحر

الصحراء) عند بهاء طاهر.

أما ترجمة بسمة مصطفى فتحمل مقدمة موجزة عن المؤلف وقصته، وهي تخلط في الهامش بين الخيمياء، والكيمياء، والسيمياء، وتقول هي: "عملية تحويل النحاس إلى ذهب، وذلك في أوائل القرن العشرين في مصر"، كما تذكر أن المؤلف نشر روايته عام 1994.[198]

ولمقارنة أسلوب الترجمة نعرض المقطع الأول في كل ترجمة:

1. الإنجليزية:

"The Boy's name was Santiago. Dusk was falling as the boy arrived with his herd at an abandoned church. The roof had fallen in long ago, and an enormous sycamore had grown on the spot where the sacristy had once stood".[199]

2. بهاء طاهر:

"كان اسمه سانتياجو ..... وصل مع غياب الشمس يسوق قطيع أغنامه إلى كنيسة قديمة مهجورة، كان سقفها قد انهار منذ زمن طويل، ونمت شجرة جميز ضخمة في مكان الهيكل".[200]

3. جواد صيداوي:

"اسمه سانتياجو .... كان النهار على وشك أن ينتهي عندما وصل مع قطيعه إلى باحة كنيسة قديمة مهجورة، كان السقف قد انهار منذ زمن بعيد ونبتت شجرة جميز ضخمة مكان الغرفة الملحقة بالمذبح".[201]

4. بسمة مصطفى:

"كان اسمه سانتياجو ..... وصل مع غروب الشمس إلى كنيسة قديمة مهجورة، وهو يسوق أمامه قطيعاً من الأغنام ..... سقف الكنيسة كان منهاراً، ومكان الهيكل نمت شجرة جميز ضخمة".[202]

5. خالد السيد:

"كان النهار على وشك أن ينتهي عندما وصل بقطيعه أمام كنيسة قديمة مهجورة سقفها قد انهار منذ زمن بعيد، وقد نمت شجرة جميز عملاقة في الموضع الذي كان يوجد فيه المذبح".[203]

إن أول ما نلاحظه هو اختلاف ترجمة اسم البطل بين سانتياجو عند جواد صيداوي، وخالد السيد، رغم أن الأخير لم يذكر الاسم في المقطع السابق، وبين سانتياجو عند بهاء طاهر، وبسمة مصطفى.

وتبدو عبارة "وصل مع غروب الشمس" أفضل من "كان النهار على وشك أن ينتهي عندما وصل"، أو "وصل مع غياب الشمس" فهي موجزة ومعبرّة.

"في مكان الهيكل" أفضل من "مكان الغرفة الملاحقة بالمذبح" أو "في الموضع الذي كان يوجد فيه المذبح"، وشجرة جميز "ضخمة" أفضل من "عملاقة".

إنها عملية اختلاف التراكيب في الجملة الواحدة ..... واستخدام مترادفات الكلمة الواحدة، وهو ما يميز اللغة العربية، فنجد مثلاً ترجمة بهاء طاهر: أصغى إلى قلبه بدلاً من استمع إلى قلبه. السمع هو إدراك المسموع، أما الإصغاء فهو طلب إدراك المسموع بإمالة السمع إليه، وفي القرآن الكريم قوله تعالى: "فقد صغت قلوبكما"[204]، أي مالت.[205]

الصوت والصمت

حيث يقارن الشاب بين الأصوات يوم السفر في القافلة: "صياح وبكاء أطفال، وصهيل، وخوار ..... أما في الصحراء فلم يكن ثمة شئ سوى الصمت". إن الأصوات تختلف من مصدرٍ إلى آخر، وانتقالها يدرس ضمن علم الأصوات الأكوستيكي Acoustic Phonetics، أو علم الأصوات السمعي، وهو ما يتعلق بالصوت من حيث انتقال موجاته في الهواء إلى أذن السامع.[206]

ويصوّر المؤلف أهمية عنصر الصمت في الصحراء عند نشوب حربٍ "ازداد الرجال صمتاً على صمتٍ، وبات الصمت أكثر رهبة في الليل حين يجأر جمل فيبث الخوف في نفوس الجميع".

وحينما وصل المسافرون إلى الواحة "أصبح الجميع يتكلمون بلا انقطاع، ويضحكون، ويصيحون بأعلى أصواتهم حتى لكأن المرء قد ترك عالماً من الأرواح الخالصة ليجد نفسه وسط البشر".

يقول المؤلف: "كانت الريح تنقل أصواتاً من الواحة، وحاول أن يتعرف على صوت فاطمة".[207] يقول أحمد مختار عمر: "من المناسب أن نتصور الهواء بين آذاننا، ومصدر الصوت كما لو كان مقسماً إلى عددٍ من الأجزاء، يسبب مصدر الصوت تحركات لأجزاء الهواء المجاورة له، وهذه التحركات تسبب اضطرابات في الهواء لمسافة ِأبعد من المصدر، وهذه الأجزاء بدورها تؤثر على ما جاورها، وهكذا يمتد التأثير بعيداً عن مصدر الصوت وينتشر خارجاً"[208]، والصوت يمكن

أن يحمل الدلالة النفسية، لقد قال القائد الأعلى، وفي صوته خشوع: "أريد ان أرى قدرة الله العظيم".(209)

وفي قصة بهاء طاهر نشعر بالتأثير الصوتي: "لما زعق شدوان، ونهضت الجمال الباركة فجأة وهي تتبادل الصياح، شعر الدكتور فريد بقلبه يثب خفيفاً في صدره".(210)

والمؤلف يصوّر الصحراء: "إنها ليست شيئاً آخر غير الصمت، صمت ما قبل الخليقة ..... قبل أن تظهر صيحات البشر، صمت لم يكن يقطعه حفيف أخفاف الجمال الرتيب، ولكن أصوات الرجال وحدها هي التي تجرحه". ويتشابه تصوير الصمت عند باولو في قصة بهاء طاهر: "لم يتكرر مرح الرجال، لم يعد يتردد غير صوت الجمال التي راحت تجأر بأصوات كالنواح، وهي تميل بأعناقها".(211)

ويكاد يطغى تصوير الصمت عند بهاء طاهر عنه في رواية باولو حيث يلازم الصمت الغموض الذي يغلف قصة بهاء طاهر، بينما تمتليء رواية باولو بالحركة والصوت.

الخاتمة

قد تكون الرحلة منطلقاً لحياة جديدة، وهو ما حدث في العملين الأدبيين موضوعي البحث والمقارنة التي كشفت عن جوانب التقارب في فكر وثقافة كلٍ من: بهاء طاهر، وباولو كويلو، رغم اختلاف اللغة، والخلفية الثقافية، والحضارية لبلديهما: مصر والبرازيل، فقد إتضح ما لازم رحلتيهما من جوٍ صوفي فلسفي عجيب. كما ألقى البحث الضوء على قضية مهمة، وهي دور الترجمة في كسر الحاجز اللغوي بين الشعوب.

وقد اهتم البحث ببيان أن المقارنة الأدبية بين العملين قد قامت على مبدأ التوازي الأمريكي، وليس التأثير والتأثر. إن باولو لم يقرأ قصة بهاء طاهر قبل كتابته للسيميائي رغم معرفته بالثقافة العربية بل عاد الطرفان إلى نبع الصوفية الأصيل مع تنويعات من السيمياء، والرمز، والثقافة الفرعونية.

وقد انتهى البحث إلى بيان صورة مصر في العملين الأدبيين، وزاوية الرؤية لدى كلا المؤلفين. ولذلك أهمية كبيرة حيث يساهم في رسم صورةٍ عامة لمصر في علاقاتها بالشعوب الأخرى، وبذلك يتاح لها أن تعرف نفسها معرفة حقيقية قائمة على رؤى مختلفة ومغايرة. كما يهيء ذلك الطريق لتطور قائم على الصلات مع الآخرين والانفتاح على ثقافاتهم بما يفتح المجال للتأثير والتأثر.

ويؤكد البحث على أهمية الرحلة حتى في عصر المعلومات والتكنولوجيا. إن الرحلة لازالت قيمة مهمة في الكشف عن تواصل الثقافات وترابطها في جزء أصيل من الحياة الإنسانية بشكلٍ عام.

وتبدو رواية السيميائي أعمق فلسفة من رواية بهاء طاهر، إنها تقدم للقارئ جدوى فعل الرحلة من أنواعٍ متعددة، أهمها المعرفة الروحية الباطنية التي تهدي الإنسان إلى طريقه في الحياة. وكما أن الكون الفسيح مليء بكل ما هو غامض، كذا هو نهم المعرفة إلى ثمار لم تطلها أيدي من لم يرتحلوا أو يغامروا.

الهوامش

(1) Author Biography: Paulo Coelho, The Alchemist, Translated by Alan. R. Clarke, Harper, 2002.

(2) http://www.paulocoelho.com/en.

(3) بهاء طاهر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

(4) جريدة أخبار اليوم: السبت: 2010/3/27.

(5) باولو كويلو: السيميائي أو ساحر الصحراء: ترجمة بهاء طاهر: المقدمة: الهلال: 1996.

(6) خورخي لويس بورخس: قصص مترجمة: ترجمة محمد أبو العطا: 209: المركز القومي للترجمة: ط1/ 2008.

(7) ألف ليلة وليلة: ج2: 1194: إعداد رشدي صالح: دار الشعب: 1969.

(8) باولو كويلو: الخيميائي: ترجمة جواد الصيداوي: المقدمة: شركة المطبوعات للنشر: لبنان: ط2/ 2010.

(9) جان إيرياس: اعترافات مسافر حاج: ترجمة عز الدين محمود: ص43: ورد للطباعة: سوريا: ط1/ 2007.

(10)بهاء طاهر: أنا الملك جئت: ص25: دار الشروق: ط2/ 2010.

(11) عصام بهي: الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية الحديثة: 270 ــ ط1/ 1988.

(12) (باولو) كويلو: السيميائي: ترجمة بهاء طاهر: ص33.

(13) السيميائي: ص35.

(14) أنا الملك جئت: ص12.

(15) أنا الملك جئت: ص20.

(16) See: Maryam Faye: Journey Through Ten Thousand Veils. The Alchemy of Transformation of The Sufi Path, 70-74 , Tughra Books, New Jersey, 2009.

(17) السيميائي: ص9.

(18) السيميائي: ص23.

(19) Paulo Coelho: The Al Chemist: Author Biography, and an Interview with Laura Sheahen for Beliefnet.

(20) السيميائي: ص46.

(21) Author Biography.

(22) أنا الملك جئت: ص13.

(23) حسين محمود فهيم: أدب الرحلات: ص44: عالم المعرفة: الكويت 1989.

(24) السيميائي: ص52.

(25) المرجع السابق: ص60.

(26) انظر: أدب الرحلات: ص49.

(27) السيميائي: ص67.

(28) المرجع السابق: ص82.

(29) صحيح مسلم: ج2: ص461: مطبعة الحلبي: د. ت.

(30) أنا الملك جئت: ص16.

(31) عبد الفتاح عثمان: الصراع الحضاري في الرواية العربية: ص382: دار العدالة: ط1/ 1990.

(32) انظر: محمد عبد الهادي أبو ريدة: أعمال غير منشورة: ج4: ص37: الأنا والآخر: تحقيق فيصل بدر: الهيئة: ط1/ 2011.

(33) السيميائي: ص113.

(34) انظر: جان جاك لوتي: نظرة على مصر في زمن بونابارت: ص80 ــ 85: ترجمة ناجي رمضان: المركز القومي للترجمة: 2008.

(35) السيميائي: ص131.

(36) انظر: شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي: ص319 ــ 323: الهيئة العامة لقصور الثقافة: 2002.

(37) أعطى بهاء طاهر رواية السيميائي عنواناً جانبياً: ساحر الصحراء.

(38) السيميائي: ص96.

(39) السيميائي: ص99.

(40) أنا الملك جئت: ص26.

(41) أنا الملك جئت: ص18.

(42) ديزموند ستيوارت: القاهرة: ص58: ترجمة يحيى حقي: مقدمة جمال حمدان: نهضة مصر: 2009.

(43) السيميائي: ص111.

(44) ديزموند ستيوارت: القاهرة: ص149.

(45) زهير الجبوري: المكانية في الفكر والفلسفة والنقد: ص89: دار نينوى: سورية: 2008.

(46) السيميائي: ص127.

(47) غنيمي هلال: الأدب المقارن: ص426: دار العودة: ط3/ 1962.

(48) انظر: وصف مصر: تأليف جماعة من علماء الحملة الفرنسية: ترجمة زهير الشايب: ج2: العـــرب في ريف مصر وصحراواتها: ص154: الهيئة: 2011.

(49) السيميائي: ص77.

(50) المكانية في الفكر والفلسفة والنقد: ص93.

(51) انظر: غنيمي هلال: الأدب المقارن: ص420 ــ 422.

(52) عبد الرحيم مودن: رحلة ابن بطوطة الجديدة: ص25: دار الثقافة: المغرب: ط2/ 2003.

(53) رحلة ابن بطوطة الجديدة: ص23.

(54) ديزموند ستيوارت: القاهرة: ص86.

(55) السيميائي: ص175.

(56) المكانية في الفكر والفلسفة والنقد: ص40.

(57) انظر: أدب الرحلات: ص41.

(58) أنا الملك جئت: ص17.

(59) السيميائي: ص129.

(60) السيميائي: ص179.

(61) انظر: المكان في الفلسفة والفكر والنقد: ص90.

(62) كارل ساجان: رومانسية العلم: ترجمة أيمن توفيق: ص74: الهيئة: 2010.

(63) انظر: حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام: الزهراء للإعلام العربي: ط1/ 1987.

(64) السيميائي: ص44.

(65) الإمام شهاب الدين الحموي: معجم البلدان: تحقيق فريد عبد العزيز: ج3/ 194: دار الكتب العلمية: لبنان: ط1/ 1990.

(66) جان إبرياس: اعترافات مسافر حاج: ترجمة عز الدين محمود: ص156: ورد للطباعة: سوريا: ط1/ 2007.

(67) انظر: عبد الرحمن مودن: رحلة ابن بطوطة الجديدة: ص9 ــ 12: دار الثقافــة: المغــرب: ط2/ 2003.

(68) السيميائي: ص63.

(69) سيزا قاسم: شهوة الترحال: مجلة ألف للبلاغة المقارنة: دعوة إلى رحلة: ص88: العدد 26/ 2006: الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

(70) انظر: شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي: ص296 ــ 297.

(71) أنا الملك جئت: ص18.

(72) المرجع السابق: ص28.

(73) انظر: زهير الجبوري: المكانية في الفلسفة والفكر والنقد: ص76 وما بعدها.

(74) انظر: جان لوتي: نظرة على مصر في زمن بونابارت: ترجمة ناجي رمضان: ص50.

(75) انظر: أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر: 237 ــ 250: دار المعارف: ط6: 1994.

(76) انظر: مؤرخون في القاهرة: مقالات تكريماً لجورج سكانلون: ترجمة فضيلة محجوب: مقال التاريخ الحضاري لمدينة القاهرة منذ 1900: نيللي حنا: ص302: المركز القومي للترجمة: ط1/ 2010.

(77) الطاهر مكي: الأدب المقارن: ص322: مكتبة الآداب: ص4/ 2002.

(78) أنا الملك جئت: ص32.

(79) Paulo Coellho: An Interview with Laura Sheahen for Beliefnet.

(80) المكانية: ص73.

(81) السيميائي: ص17.

(82) المرجع السابق: ص99.

(83) السيميائي: ص71.

(84) The Bower of now: A Guide to Spiritual Enlightenment Eckhart Tolle, P. 73, edition published, Hodder and Stoughton, London, 2005.

(85) زهير الجبوري: المكانية: ص46.

(86) محمد بن سيرين: منتخب الكلام في تفسير الأحلام: ص19 ــ 20: دار إحياء الكتب العربية: د. ت.

(87) المرجع السابق: ص4.

(88) رومانسية العلم: ص4.

(89) سيزار فرنانديث مورينو: أدب أمريكا اللاتينية ترجمة أحمد حسان عبد الواحد: القسم الثاني: ص117: عالم المعرفة ــ الكويت.

(90) An Interview with Paulo Coello by Laura Sheahen for Beliefnet.

(91) انظر: جان إيرياس: اعترافات مسافر حاج: ص148.

(92) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي: ص341: الرياض: ط2/ 1989.

(93) انظر الموسوعة الميسرة: ص341 ــ 353.

(94) هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام: ترجمة إحسان عباس: ص246: الهيئة: 2011.

(95) كمال الدين القاشاني: اصطلاحات الصوفية: تحقيق محمد كمال جعفر: الهيئة: 2008.

(96) السيميائي: ص97.

(97) السيميائي: ص100.

(98) السيميائي: ص105.

(99) ابن منظور: لسان العرب: تحقيق مجموعة: ج3: ص2158: دار المعارف: د. ت.

(100) Elias modern dictionary, P. 35, 1990.

(101) تشوسر: حكايات كانتربري: ترجمة مجدي وهبة: ص475: الهيئة العامة للكتاب: 1983.

(102) محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة: ص86: لونجمان: 2003.

(103) عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب: ص17: منشورات الاختلاف: الجزائر: ط1: 2010.

(104) السيميائي: ص91.

(105) Paulo Coelho: The Alchemist: Preface.

(106) انظر: تشوسر: حكايات كانتربري: ترجمة مجدي وهبة: ص472 ــ 475: الهيئة العامة: 1983.

(107) تشوسر: حكايات كانتربري: ص474.

(108) Paulo Coelho: The Alchemist, P. VII.

(109) عمر بن عبد الله كامل: التصوف في الإفراط والتفريط: ص102: نهضة مصر: 2011.

(110) الموسوعة الإسلامية الميسرة: ص344.

(111) انظر: عبد المجيد الصغير: التصوف كوعي وممارسة: ص126: دار الثقافة: المغرب: ط1/ 1999.

(112) لسان الدين بن الخطيب: مختصر كتاب روضة التعريف بالحب الشريف: اختصار أحمد كمال الجزار: ص94: الهيئة العامة لقصور الثقافة: 2011.

(113) صحيح مسلم: ج2: ص292.

(114) انظر: جان لوتي: نظرة على مصر في زمن بونابرت: ترجمة ناجي رمضان: ص192.

(115) انظر: حسين محمد فهيم: أدب الرحلات: ص125.

(116) مجموعة من علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر: ج2: العرب في ريف مصر وصحراواتها: ترجمة زهير الشايب: ص290: ط2/ 1980: دار الشايب للنشر.

(117) المرجع السابق: ص284.

(118) انظر: نظرة على مصر في زمن بونابرت: ص194.

(119) السيميائي: ص147.

(120) Paulo Coelho: The Alchemist.

(121) An Interview with Paulo Coelho.

(122) ساجان: عالم فضاء أمريكي (1934 ــ 1996) له كتابات حديثة في الفلك والفيزياء الفلكية.

(123) كارل ساجان: رومانسية العلم: ص21: الهيئة العامة للكتاب: 2010.

(124) المرجع السابق: ص20.

(125) الموسوعة الإسلامية الميسرة: ص347.

(126) كمال الدين القاشاني من صوفية القرن الثامن الهجري: اصطلاحات الصوفية: تحقيق محمد كمال جعفر: ص65: الهيئة العامة: 2008.

(127) انظر: التصوف كوعي وممارسة: ص88 ــ 90.

(128) انظر: الموسوعة الميسرة: ص347.

(129) سورة فصلت: الآية 53.

(130) جان إيرياس: اعترافات مسافر حاج: ص187.

(131) Maryam Faye: Journey Through Ten Thousand Veils, P. 58.

(132) باولو كويلو: الخيميائي: ترجمة جواد صيداوي: المقدمة بقلم المؤلف: شركة المطبوعات: لبنـــان: ط2/ 2010.

(133) رحلة ابن بطوطة: ص98.

(134) رومانسية العلم: ص62.

(135) السيميائي: ص168.

(136) المرجع السابق: ص169.

(137) An Interview with Paulo Coelho.

(138) رومانسية العلم: ص62.

(139) أنا الملك جئت: ص9.

(140) سورة الملك: آية 1: 2.

(141) أنا الملك جئت: ص25.

(142) An Interview with Paulo Coelho.

(143) انظر: هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام: ترجمة إحسان عباس: ص252.

(144) أنا الملك جئت: ص27.

(145) التصوف بين الإفراط والتفريط: ص57.

(146) محمد عبيد الله: مقال: عالم بهاء طاهر: مجلة ديوان العرب الإلكترونية (الإنترنت): 2005.

(147) التصوف: ص70.

(148) الموسوعة الإسلامية: ص347.

(149) السيميائي: ص23.

(150) انظر: اعترافات مسافر حاج: ص190 ــ 202.

(151) السيميائي: ص31.

(152) المرجع السابق: ص29.

(153) السيميائي: ص116.

(154) السيميائي: ص117.

(155) محمد تاج ووائل غالي: صورة المرأة في تاريخ الفنون: ص49: الهيئة العامة للكتاب: 2010.

(156) المرجع السابق : ص109.

(157) زهير جبوري: انظر المكانية في الفكر والفلسفة والنقد: ص8.

(158) السيميائي: ص168.

(159) أحمد محمد سالم: المرأة في الفكر العربي الحديث: ص48: الهيئة العامة لقصور الثقافة: 2012.

(160) أنا الملك جئت: ص9.

(161) عبد الفتاح عثمان: الصراع الحضاري في الرواية العربية: ص395: دار العدالة: ط1/ 1990.

(162) أنا الملك جئت: ص10.

(163) انظر: عبد الفتاح عثمان: الصراع الحضاري: ص391 ــ 392.

(164) السيميائي: ص60.

(165) المرجع السابق: ص61.

(166) المرجع السابق: ص83.

(167) An Interview with Paulo Coelho.

(168) السيميائي: ص98.

(169) السيميائي: ص104.

(170) باولو كويلو: الخيميائي : ترجمة جواد صيداوي: شركة المطبوعات للنشر: ط2/ 2010.

(171) السيميائي: ص118.

(172) انظر: مقدمة الخيميائي: ترجمة جواد صيداوي.

(173) السيميائي: ص116.

(174) أنا الملك جئت: ص25.

(175) السيميائي: ص151.

(176) السيميائي: ص70.

(177) المرجع السابق: ص155.

(178) انظر: بيتر كليتون: لغة الجسد : ترجمة وطباعة: دار الفاروق: ص33: ط1/ 2005.

(179) لغة الجسد: ص88.

(180) شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي: ص162: الهيئة العامة لقصور الثقافة: 2002.

(181) عصام بهي: الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية الحديثة: ص270: مكتبة سعيد رأفت: ط1/ 1988.

(182) جانيس كامرين: تعلّم الهيروغليفية: ص8: نهضة مصر: 2005: والمؤلفة حاصلة على الدكتوراه في علم الآثار المصرية من جامعة بنسلفانيا: وتقوم حالياً بالتدريس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

(183) تعلّم الهيروغليفية: ص7.

(184) انظر: المرجع السابق: ص9 ــ 10.

(185) أنا الملك جئت: ص33.

(186) تعلم الهيروغليفية: ص16.

(187) المرجع السابق: ص63.

(188) محمد عناني: الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق: ص218.

(189) المرجع السابق: ص226.

(190) الطاهر مكي: الأدب المقارن: ص316.

(191) انظر: سيزار فرناند مورينو: أدب أمريكا اللاتينية: القسم الأول: ترجمة أحمد حسان عبد الواحـــد: ص13: عالم المعرفة: الكويت.

(192) باولو كويلو: ويكيبيديا الموسوعة الحرة: الإنترنت.

(193) السيميائي: المقدمة: بقلم بهاء طاهر.

(194) Paulo Coelho: The Alchemist: Translated by Alan Clark, Hand Cdlins, 2002.

(195) السيميائي: ص13.

(196) السيميائي: ص20.

(197) السيميائي: ص83.

(198) الخيميائي: ص11.

(199) الخيميائي: ترجمة بسمة مصطفى: ص5

(200) The Alchemist: Paulo Coelho, Translated by Alan Clarke, P. 3.

(201) السيميائي: ترجمة بهاء طاهر: ص27.

(202) الخيميائي: ترجمة جواد صيداوي: ص17.

(203) الخيميائي: ترجمة بسمة مصطفى: ص8.

(204) الخيميائي: ترجمة خالد السيد: ص9.

(205) التحريم: ص41.

(206) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية : تحقيق محمد باسل: ص103: دار الكتب العلمية: لبنان.

(207) انظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي: ص19.

(208) السيميائي: ص142.

(209) أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي: ص22: عالم الكتب: ط4/ 2006.

(210) السيميائي: ص166.

(211) أنا الملك جئت: ص17.

(212) أنا الملك جئت: ص24.

المصادر والمراجع

أولاً ــ المصادر:

أ.

- القرآن الكريم.
- صحيح مسلم ــ ج2 ــ مطبعة الحلبي ــ د. ت.

ب.

- ألف ليلة وليلة ــ ج2 ــ إعداد رشدي صالح ــ دار الشعب ــ 1969.
- الفروق اللغوية ــ أبو هلال العسكري ــ تحقيق محمد باسل ــ دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ 2010.
- مختصر كتاب التعريف بالحب الشريف ــ لسان الدين بن الخطيب ــ اختصار أحمد كمال الجزار ــ الهيئة العامة للكتاب ــ 2011.
- منتخب الكلام في تفسير الأحلام ــ محمد بن سيرين ــ دار إحياء الكتب العربية ــ د. ت.

ج.

- باولو كويلو:

1. السيميائي (ساحر الصحراء) ترجمة بهاء طاهر ــ الهلال ــ 1996.
2. الخيميائي ــ ترجمة جواد الصيداوي ــ شركة المطبوعات للنشر ــ لبنان ــ ط2 ــ 2010.
3. الخيميائي ــ ترجمة خالد السيد ــ المجمع الثقافي المصري ــ 2010.
4. الخيميائي ــ ترجمة بسمة مصطفى ــ دار الكتاب العربي ــ سوريا ــ 2010.

بهاء طاهر: أنا الملك جئت ــ دار الشروق ــ ط2 ــ 2010.

ثانياً ــ المراجع العربية:

- أحمد محمد سالم: المرأة في الفكر العربي الحديث ــ الهيئة العامة للكتاب ــ 2012.
- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ــ عالم الكتب ــ ط4 ــ 2006.
- أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر ــ دار المعارف ــ 1994.
- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات ــ عالم المعرفة ــ الكويت ــ 1989.
- زهير الجابوري: المكانية في الفكر والفلسفة والنقد ــ دار نينوى ــ سوريا ــ 2008.

- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ 2002.
- الطاهر مكي: الأدب المقارن ــ الآداب ــ ط4 ــ 2002.
- عبد الرحمن مودن: رحلة ابن بطوطة الجديدة ــ دار الثقافة ــ المغرب ــ ط2 ــ 2003.
- عبد الفتاح عثمان: الصراع الحضاري في الرواية العربية ــ دار العدالة ــ ط1 ــ 1990.
- عبد المجيد الصغير: التصوف كوعي وممارسة ــ دار الثقافة ــ المغرب ــ ط1 ــ 1999.
- عبد الواحد مرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب ــ منشورات الاختلاف ــ الجزائر ــ ط1 ــ 2010.
- عصام بهي: الرحلة إلى الغرب في الرواية العربية الحديثة ــ مكتبة سعيد رأفت ــ ط1 ــ 1988.
- عمر عبد الله كامل: التصوف بين الإفراط والتفريط ــ نهضة مصر ــ 2011.
- كمال الدين القاشاني: اصطلاحات الصوفية ــ تحقيق محمد كمال جعفر ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ 2008.
- محمد تاج ــ وائل غالي: صورة المرأة في تاريخ الفنون ــ الهيئة العامة لقصور الثقافة ــ 2010.
- محمد عبد الهادي أبو ريدة: أعمال غير منشورة للمؤلف ــ ج4 ــ الأنا والآخر ــ تحقيق فيصل بدر ــ الهيئة العامة للكتاب ــ ط1 ــ 2011.
- محمد عناني: المصطلحات الأدبية الحديثة ــ لونجمان ــ 2003.
- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن ــ دار العودة ــ بيروت ــ ط3 ــ 1962.

ثالثاً ــ المراجع المترجمة:

- إيرياس ــ جان: اعترافات مسافر حاج ــ ترجمة عز الدين محمود ــ ورد للطباعة ــ سوريا ــ ط1 ــ 2007.
- بورخس ــ خورخي لويس: قصص مترجمة ــ ترجمة محمد أبو العطا ــ المركز القومي للترجمة ــ ط1 ــ 2008.
- تشوسر ــ جيفري: حكايات كانتربري ــ ترجمة عبد الحميد يونس ــ مجدي وهبة ــ الهيئة العامة للكتاب ــ 1983.
- جب ــ هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام ــ ترجمة إحسان عباس ــ الهيئة العامة للكتاب ــ 2011.
- ساجان ــ كارل: رومانسية العلم ــ ترجمة أيمن توفيق الهيئة العامة للكتاب ــ 2011.

- ستيوارت ــ ديزموند: القاهرة ــ ترجمة يحى حقي ــ مقدمة جمال حمدان ــ نهضة مصر ــ 2009.
- كامرين ــ جانيس: تعلم الهيروغليفية ــ نهضة مصر ــ 2005.
- كليتون ــ بيتر: لغة الجسد ــ ترجمة دار الفاروق ــ ط1 ــ 2005.
- لوتي ــ جان: نظرة على مصر في زمن بونابارت ــ ترجمة ناجي رمضان ــ المركز القومي للترجمة ــ 2008.
- مجموعة من علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر ــ ج2 ــ العرب في ريف مصر وصحراواتها ــ ترجمة زهير الشايب ــ الهيئة العامة للكتاب ــ 2011.
- مجموعة مؤرخون في القاهرة: مقالات تكريماً لجورج سكانلون ــ ترجمة فضيلة محجوب ــ المركز القومي للترجمة ــ ط1 ــ 2010.
- مورينو ــ سيزار فرناندث: أدب أمريكا اللاتينية ــ القسم الأول ــ القسم الثاني ــ ترجمة أحمد حسان عبد الواحد ــ عالم المعرفة ــ الكويت ــ 1987.

رابعاً ــ المعاجم والموسوعات:

- ابن منظور: لسان العرب ــ تحقيق مجموعة ــ ج3 ــ دار المعارف ــ د. ت.
- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام ــ دار الزهراء للإعلام ــ العربي ــ ط1 ــ 1987.
- شهاب الدين الحموي: معجم البلدان ــ تحقيق فريد عبد العزيز ــ ج3 ــ دار الكتب العلمية ــ لبنان ــ ط1 ــ 1990.
- مجموعة الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: الندوة العالمية للشباب الإسلامي ــ الرياض ــ ط2 ــ 1989.
- محمد عناني: معجم إنجليزي عربي ــ لونجمان ــ 2003.

خامساً ــ الجرائد والمجلات:

- أخبار اليوم: السبت ــ 2010/3/27.
- مجلة ألف للبلاغة المقارنة: شهوة الترحال ــ العدد 26 ــ 2006 ــ الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

سادساً ــ المراجع الأجنبية:

- Clarke, Alane: The Alchemist, Paulo Coelho, Translated in English, Harper and Collins, 2002.
- Faye, Maryam: Journey Through Ten Thousand Veils, The Alchemy of Transformation on The Sufi Path, Tughra Books, New Jersy, 2009.

- Sheahen, Laura: An Interview With Paulo Coelho for Beliefnent, 2002.
- Tolle, Eckhart: The Bower of now, A Guide to Spiritual Enlightement, Hodder and Stoughton, London, 2005.
- Elias: Modern Dictionary, 1990.

سابعاً ــ الإنترنت:

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: باولو كويلو.
- http://www.paulocoelho.com/en
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة: بهاء طاهر.
- مجلة ديوان العرب: مقال عالم بهاء طاهر: محمد عبيد: 2005.